عناصر القوة الشاملة لدولة إسرائيل

القوة البشرية (السكان)

صورة حديثة لأحد المستوطنات اليهودية

إسرائيل تبدو دولة صغيرة من حيث المساحة وعدد السكان ولكن سوف تُصدم عزيزي القارئ عندما تعلم أنها دولة إقليمية كبرى، ذات ترتيب متقدم عالميًّا في معظم المؤشرات المهمة وبخاصة في مجال العلوم، والتكنولوجيا، والاستخبارات، والقدرات الحربية، والإعلام، والتنمية البشرية، وخدمات الرعاية الصحية، والاجتماعية التي تقدم لمواطنيها، ولن نكون مبالغين إذا قلنا إنها دولة عظمى بدخولها نادي الدول الكبرى، التي تمتلك السلاح النووي، وتكنولوجيا دورة الوقود النووي، وتطبيقات العلوم الذرية، وعلوم الفضاء منذ ستينات القرن الماضي.

مساحة إسرائيل ٢٢ ألف كم مربعًا أيْ ثلث مساحة سيناء تقريبًا و٢% من مساحة مصر، يبلغ عدد سكان إسرائيل ٨.٢ مليون نسمة (٢٠١٤) أيْ تقريبًا ٨% من عدد سكان مصر، يمثل اليهود منهم ٧٦%، والعرب ٢٠% والباقي جنسيات

أخرى، كما يشكل من يَدِين بالديانة اليهودية ٧٦%، والمسلمون ١٧%، والمسيحيون ٢% والدروز ١.٨%، والباقي علمانيون، وديانات أخرى كالبهائية، تمثل قوة العمل ٤٩% من عدد السكان.

يمثل اليهود القاطنون بإسرائيل نسبة ٤٥% من يهود العالم، نسبة الأمية في إسرائيل ٢.٩%، ويعتبر التعليم إلزاميًّا من سن ثلاث سنوات حتى ١٨ عامًا، كما يعمل بقطاع البحث العلمي والتعليم الإسرائيلى ما نسبته ٣٣% من إجمالي القوة العاملة في إسرائيل، تنفق إسرائيل على التعليم بكل أشكاله ودرجاته بما فيه التعليم الجامعي ٢٤ مليار دولار سنويًّا ترصد له الحكومة في ميزانيتها ١٢ مليارًا (٤% من إجمالي الناتج القومي) والباقي يأتي من المؤسسات الخاصة والأهلية (٢٠١٤).

أما التعليم العالي فيعد من أرقى أنواع التعليم الجامعي بالعالم، (حاييم) ويزمان أحد الآباء المؤسسين لدولة إسرائيل هو من أسس نموذج التعليم الجامعي بإسرائيل مشابهًا للنموذج الألماني، رابطًا مخرجاته بحاجات السوق وتطور الدولة اقتصاديًّا وعسكريًّا.

تعتبر إسرائيل رابع دولة في العالم بعد كندا وأمريكا وروسيا في عدد حاملي الشهادات العليا كنسبة من عدد السكان، وتحتل الجامعات الإسرائيلية ترتيبًا متقدمًا بين جامعات العالم حيث اندرجت ست جامعات إسرائيلية ضمن أفضل مائة جامعة بآسيا، ويوجد أربع جامعات ضمن أفضل ١٥٠ جامعة بالعالم طبقًا لتصنيف «جياو تونغ شانغهاي» الأكاديمي وثلاث جامعات ضمن تصنيف مجلة «التايمز» لأفضل ٢٠٠ جامعة بالعالم ٢٠١٤، تعتبر الجامعة العبرية ومعهد «التخنيون»، وجامعة «تل أبيب» قِبلة راغبي الحصول على أرقى تعليم عالٍ عالمي بمجالات العلوم النووية والكيمياء والاقتصاد وتكنولوجيا الحاسبات والمعلومات، وتستقبل تلك الجامعات طلابًا من دول العالم المتقدم للدراسة بهم ضمن برنامج للتبادل العلمي بين إسرائيل وتلك الدول وبخاصة أمريكا، أنتجت إسرائيل ٢١ ألف بحث علمي في عام ٢٠١١، بينما كان إنتاج العالم العربي كله بما فيها مصر ١٠ آلاف بحث، وهذا يعطي تصورًا لحجم المؤسسات العلمية لدي إسرائيل وإمكانياتها البشرية والمادية؛ لهذا تحتل إسرائيل المرتبة ١٥ عالميًّا في مجال

البحث العلمي، كما أنه في عام ٢٠١٢ تقدمت إسرائيل لتسجيل ١٤٠٠ براءة اختراع لمنظمة «ويبو» العالمية لتسجيل براءات الاختراعات، بينما كان نصيب العالم العربي كله ٥٠٠ طلب نصفه من المملكة العربية السعودية[١]، إسرائيل تسهم بنسبة ١% من إنتاج المعرفة بالعالم بينما الوطن العربي كاملًا -بما فيه مصر- ينتج ٠.٠٠٠٢% أي أن إنتاج إسرائيل أكبر بـ ٥٠٠٠ مرة، أيضًا تهتم إسرائيل باجتذاب أهم الكفاءات العلمية من الخارج حيث بلغ عدد الأساتذة الأجانب العاملين بجامعاتها ٦٥% من إجمالي عدد الأساتذة العاملين بجامعاتها الثماني. بينما هاجر من مصر أكثر من ٥٠٠ عالم، وخبير متميز في علوم الهندسة النووية، والفيزياء، والليزر، والإلكترونيات، والكيمياء، وعلوم الفلك، والزلازل، والهندسة الوراثية، والجيولوجيا، والطب وتكنولوجيا المواد. إسرائيل عندها تسعة علماء حاصلين على نوبل، منهم ستة في الكيمياء والاقتصاد، وواحد في الأدب، واثنان في السلام، بينما يوجد ثلاثة فقط للعالم العربي، منهم واحد في الكيمياء دكتور احمد زويل وهو مصري بحكم الجنسية، ولا علاقة للأبحاث التي حصل بسببها على الجائزة بأي بنية تحتية علمية مصرية، واثنان في السلام مصريان أيضًا، هما: الأديب الكبير النابه نجيب محفوظ، والقانوني والتنفيذي البارز بالأمم المتحدة دكتور محمد البرادعي.

متوسط إنفاق إسرائيل على التعليم والبحث العلمي للفرد حوالي ١٣٠٠ دولار سنويًّا، بينما في العالم العربي ١٢ دولارًا لكل نسمة، كما أن الأبحاث العلمية الإسرائيلية لها تقدمها ومصداقيتها ودقتها عن تلك الأبحاث التي يقدمها العالم العربي كله بما فيها مصر.

على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية كتب «د. ايلى أوبر» كبير علماء وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلي مقالًا بعنوان الابتكارية خلاصة التفوق الإسرائيلى، حيث قال: إذا كانت ثمة صفة واحدة تميز إسرائيل من حيث قدرتها

(١) بلغ عدد براءات الاختراعات التي أصدرها مكتب براءات الاختراع والعلامات التجارية الأمريكي منذ تأسيسه وحتى عام ٢٠١٥ حوالي ٦ ملايين براءة اختراع منهم ٢٦ ألف براءة لإسرائيل و١٥١٣ براءة اختراع للملكة العربية السعودية و٢٧٥ براءة اختراع لمصر و١٢٠٠ براءة لباقي الدول العربية.

على البقاء، والدفاع عن نفسها، وتحقيق نمو اقتصادي مرتفع، فهي ثقافة الابتكار والتجديد التي يتحلى بها المجتمع، ويساعد على ذلك مناخ الحرية والديموقراطية التي تمثل قيمة أساسية ومهمة في حياة المواطنين وأعمال الحكومة.

حيث وبالارتقاء بجودة المواطنين Citizens Quality تمكنًا من قيادة البلاد بالتفكير الخلاق والمبدع؛ لكي تكون ضمن مقدمة دول العالم حيث أصبح الإسرائيليون الأعلى عالميًّا في إنتاج المقالات العلمية ١٠٩ مقالات لكل عشرة آلاف مواطن، وقد مكنتنا الموارد البشرية الراقية من تحقيق الإنجازات التالية:-

١- أن نحقق صادرات قدرها ٤٠ مليار دولار سنويًّا، عن طريق ابتكار خامات وسبائك متقدمة، تستخدم في صناعة الطائرات والسيارات من مواردنا التعدينية النادرة في البحر الميت.

٢- أول ذاكرة حاسوب محمول Disk - on - key بالعالم كانت من صنع إسرائيل.

٣- أول برنامج دردشة على شبكات الإنترنت كان البرنامج الإسرائيلي ICQ.

٤- أول محطة كبرى لتوليد الطاقة الشمسية بالشرق الأوسط كانت في إسرائيل شمال البحر الميت، وقامت بإنشائها شركة «أورمات»، كما تعد شركة CHROMAGEN الإسرائيلية ضمن أهم شركات العالم المتخصصة في هذا المجال، بالإضافة إلى شركة LUZ التي أسسها الإسرائيلي «أرنولد غولدمان» في كليفورنيا عام ١٩٨٤، والتي أقامت أكبر مجمع لإنتاج الطاقة الشمسية بالولايات المتحدة.

٥- مركز التطوير الرئيس للهواتف الخلوية «الموتورولا» كان في إسرائيل.

٦- مركز الإنتاج والتطوير الرئيس لشركة «إنتل» المنتجة لرقائق الحواسب البنتيوم MMX في إسرائيل.

٧- طورت شركة ميكروسوفت معظم عناصر نظاميها NT & XP في إسرائيل.

عموما تتميز إسرائيل في المجالات العلمية الآتية:-

١- الكمبيوتر وصناعة المعلومات والبرمجيات:

حيث بلغت صادرات إسرائيل من هذا المجال ١٨ مليار دولار (٢٠١٤)،

وتمتلك إسرائيل ٢٠٠ شركة كبرى تعمل بهذا المجال أهمها شركة Accesent التي يبلغ رأسمالها ١٦ مليار دولار، ويكفي أن يعلم القارئ أن هناك شركة إسرائيلية صغيرة تسمى Cellebrite.

تتعاون مع الدول والحكومات العالمية في مجال فك شفرات أجهزة الحاسب الآلي والموبايلات الذكية، وفي نهاية عام ٢٠١٥ تعاقدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية معها لفك شيفرة الآى فون بالغة التعقيد؛ لتمكينها من مراقبة أنشطة العديد من أهدافها التي تستخدم هذا النوع من الهواتف بالغة التطور، أيضًا مما هو معروف أن شركة البيت الإسرائيلية هي من تصنع خوذة الطيار بالمقاتلة الأمريكية الأكثر تطورًا بالعالم إف ٣٥، والخوذة ليست خوذة عادية بل هي وحدة حاسوب كاملة تتيح للطيار التحكم الكامل بالطائرة وأداء مهامه بنظرات العين وبصمة الصوت.

٢- علوم الذرة وتقنياتها:

حيث تعتبر إسرائيل دولة متقدمة جدًّا في المجال النووي، ويكفي الإشارة إلى احتكار إسرائيل ما نسبته ٩٥% من تجارة الماء الثقيل (أكسيد الديوتيريوم) المستخدم لإنتاج الطاقة النووية على مستوى العالم، كما تمتلك تكنولوجيا تخصيب اليورانيوم باستخدام الليزر، وهي تكنولوجيا متقدمة جدًّا لا تملكها إلا دول متقدمة معدودة بالعالم، تتميز أنها رخيصة وسريعة حيث يمكن تخصيب ٧ جرامات من اليورانيوم ٢٣٥ في أقل من يوم واحد بنسبة تخصيب ٦٠%، يعني لو لدينا ١٠٠٠ جهاز من هذا النوع فيمكننا امتلاك ما يكفي لصنع سلاح نووي من اليورانيوم عالي التخصيب ٩٠% في يوم أو يومين، ولو لدينا مائة جهاز فقط لأمكننا إنتاج ما يكفي لصنع سلاح نووي في أقل من شهر[١].

٣- علوم الفضاء وتطبيقاته:

ترتبط مؤسسات تكنولوجيا الفضاء الإسرائيلية بروابط وثيقة بوكالة الفضاء الأمريكية ناسا NASA، ووكالات الفضاء الفرنسية CNES، والألمانية DARA،

(١) تحتاج القنبلة النووية الصغيرة ٦ كيلوجرامات من اليورانيوم ٢٣٥ عالي التخصيب ٩٠%.

والأوروبية ESA، وقد اشترت إسرائيل جانبًا كبيرًا من مجمع الفضاء السوفييتي السابق في كازاخستان؛ لكي يكون قاعدة لإطلاق أقمارها الصناعية المتنوعة، ويكفي أن تعلم أن إسرائيل تصدر للعالم كله أرقى كاميرات التجسس وأكثرها دقة، والتي تستخدم في الأقمار الصناعية بأنواعها التجارية والعسكرية، وبصفة عامة لدى إسرائيل القدرة على تصنيع الأقمار الصناعية بكافة أنواعها ووسائل إطلاقها ومراكز التحكم والسيطرة وتحليل المعلومات في مصنع MBT.

٤- العلوم الطبية والبيولوجية:

تمتلك إسرائيل أكثر من ١٥٠ شركة تعمل في مجال صناعة الدواء والتكنولوجيا الطبية برأس مال يتجاوز ٤٠ مليار دولار، وتعد إسرائيل المنتج الرئيسي في العالم لأدوية السرطان والقلب والإيدز، وتحتل شركات الأدوية الإسرائيلية مرتبة متقدمة بين أهم شركات الأدوية العالمية، مثل شركة طيفح التي تحتل المرتبة ١٨ بين أكبر شركات الأدوية بالعالم بقيمة سوقية ٥٠ مليار دولار.

من المعلوم والواضح والثابت أن إسرائيل تستفيد جيدًا من مواردها البشرية وبرامجها العلمية المتقدمة والمتميزة؛ في اكتساب نفوذ سياسي عالمي واسع ويسهل من إمكانيات التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي مع دول العالم، كما أن التقدم العلمي البشري الإسرائيلي يتيح لها قدرات متميزة في توقع مصادر التهديد، وتوفير إنذار مبكر ضد أي تهديد لأمنها القومي، ويسهل من أدوات الاتصال والتواصل أوقات الأزمات، أيضًا تستفيد إسرائيل من الإمكانيات العلمية والبشرية المتميزة لمواطنيها في الولوج إلى أسواق التكنولوجيات العالية ذات العوائد السياسية والاقتصادية المجزية، كما يتيح إمكانيات التبادل العلمي بينها وبين دول العالم المتقدم والحصول على ما يلزمها من التكنولوجيا ونفوذ سياسي واقتصادي.

وهنا يحضرني ما قام به الرئيس الإسرائيلي السابق «شمعون بيريز» في ستينات القرن الماضي، حيث قدم للولايات المتحدة حلولًا علمية لتلافي عيوب طائرتها المقاتلة الرئيسية في ذلك الوقت الفانتوم F-4، مكنته من الحصول على تلك المقاتلة المهمة لأمن بلاده بعد أن رفضت الولايات المتحدة طلبه عدة مرات، وللعلم شاركت تلك المقاتلة في حرب الاستنزاف بداية من عام ١٩٦٨ وأيضًا في حرب أكتوبر وأبلت بلاءً حسنًا.

ويحضرني أيضًا -للدلالة على عبقرية القيادات السياسية الإسرائيلية في توظيف إمكانياتها العلمية لخدمة باقي عناصر قوتها الشاملة- واقعة شهيرة حدثت في عام ١٩٧٨ حيث فضح «موشي ديان» وهو مخمور وزير خارجية إسرائيل بذلك الوقت علاقات إسرائيل السرية مع نظام «منجستو» الذي تولى حكم أديس أبابا منذ عام ١٩٧٤، فما كان من مجستو إلا أن طرد جميع الإسرائيليين من إثيوبيا، ولم تعد العلاقات مرة أخرى إلا في عام ١٩٨١؛ حيث أقنع وزير العمل الإثيوبي «كاسا» رئيس الوزراء الإثيوبي «منجستو» بالاستعانة بخبير إسرائيلي يعد الأفضل عالميًّا في مجال استصلاح الأراضي المالحة، وكانت إثيوبيا بحاجة إليه لإنشاء مدرسة ثانوية؛ لتعليم مواطنيها تلك الأساليب في أحد مناطقها الزراعية المعروفة بارتفاع ملوحة أراضيها، وبالفعل سافر «كاسا» إلى «نيروبي» وقابل رئيس عمليات الموساد هناك، وتم عمل اللازم وعادت العلاقات الإسرائيلية الإثيوبية أفضل مما كانت.

أيضًا هناك برنامجان مهمان ضمن برامج ومبادرات عديدة لدعم المجتمع البحثي والابتكاري بالدولة، البرنامج الأول: هو صندوق تحمل مخاطر الاستثمار في مجال الأبحاث التي يستحيل اجتذاب ممولين لها قبل نضوجها، وتبلغ ميزانيته ٥٠٠ مليون دولار سنويًّا، ومن أهم إنجازاته دعم شركة Given Imagining في تطوير أول كاميرا فيديو متناهية الصغر، تُبتلع كقرص دواء لتشخيص أمراض الجهاز الهضمي، وهو مشروع يدر دخلًا لإسرائيل قدره ١٠٠ مليون دولار سنويًّا، أيضًا دعم شركة الفاريون التي تعتبر أهم شركات العالم في تقديم شبكات الاتصالات اللاسلكية عبر النطاقات العريضة وتصدر إنتاجها لخمس وثلاثين دولة بإجمالي حجم صادرات ٣٠٠ مليون دولار.

أما البرنامج الثاني: فهو برنامج الحضانات التكنولوجية، حيث قام البرنامج منذ عام ١٩٩١برعاية أكثر من ألف مشروع بحثي تمكنت من استقطاب استثمارات قدرها ٢ مليار دولار، وتوظيف أكثر من خمسين ألف باحث وعالم ومتخصص في مختلف المجالات.

يقول الدكتور «مائير تسادوك» مدير الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والآداب: إن النجاح العلمي المحقق لإسرائيل يرجع إلى المعايير الصارمة التي يتم اتباعها

في تقييم عمل العلماء الإسرائيليين، والتنافس على المناصب يتزايد باستمرار بينما شروط الترقي صارمة جدًّا، فيجعل ذلك العلماءَ يجتهدون كثيرًا، كما أن تقاليد المجتمع العلمي الإسرائيلي قوية للغاية وتقوم على الابتكار والنبوغ والتفوق.

عمومًا تتمتع إسرائيل بقوة بشرية متميزة ذات تعليم ودخل مرتفع ومؤسسات أبحاث متقدمة وعالمية، إلا أن عدد السكان القليل والمساحة المحدودة يهدد وجودها في أية حروب إقليمية واسعة طويلة المدى، حيث يعتمد الجيش الإسرائيلي على قوات الاحتياط في المواجهات مع إعدائه، الأمر الذي يمثل عبئًا على مرافق الإنتاج بالدولة، ويصيبها بالشلل طيلة فترة المواجهات؛ لهذا يبقى العنصر البشري رغم تميزه علميًّا وماديًّا وثقافيًّا عن باقي دول المنطقة وقت السلم يضيف للدولة تميزًا تقنيًا وتكنولوجيا، إلا أنه يتحول وقت الحرب إلى نقطة ضعف حقيقية في منظومة القوة الشاملة للدولة، وعلى الدولة اتخاذ خطوات جادة نحو زيادة النمو السكاني وجذب ملايين اليهود من خارج إسرائيل، بالإضافة إلى أن لحكومة تل أبيب سجلًا غير مشرف فيما يخص حقوق العرب وما يتعرضون إليه من مداهمات عشوائية ومصادرة أراضٍ وأملاك، وهذا يهدد تماسك الكتلة السكانية وقت الحروب والأزمات، كما أن التمييز الواضح بين السكان بناء على معتقداتهم الدينية أو أصولهم وجذورهم العائلية واضح وبخاصة في الوظائف العليا بالدولة، حيث يتميز اليهود من أصول غربية عن اليهود من الأصول الشرقية.

القوة الاقتصادية

إسرائيل دولة متقدمة على كافة الأصعدة ومنها الاقتصاد، منذ تسعينات القرن الماضي تُصنف إسرائيل ضمن اقتصاديات العالم المتقدم، وتتضمن تقارير المنظمات الدولية إسرائيل كدولة متقدمة غير واردة بالتقارير التي تصدرها تلك المنظمات عن باقي دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث ستعتبر المقارنة ظالمة وتبدو كمن يقارن مؤشرات دولة كبرى كاليابان مع دولة أخرى صغيرة مثل جيبوتى، اعتبارًا من عام ٢٠١٢ تحتل إسرائيل المراكز بين ١٦-١٩ في ترتيب التنمية البشرية للأمم المتحدة الأمر الذي يضع اقتصادها في ترتيب فئة اقتصاد السوق المتطور للغاية، وهو تصنيف له معايير وشروط تتعلق بالبنية التشريعية

الاقتصادية، وآليات اتخاذ القرارات وقوة ومتانة وحداثة أنظمة الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعلم القارئ أن دولة مثل الصين تتفاوض حاليًا لنيل هذا الوصف لاقتصادها، ومتوقع أن تحققه بحلول عام ٢٠٢٠. يبلغ الناتج المحلي الاسمي الإجمالي لإسرائيل في عام ٢٠١٤ ٣٠٥ مليار دولار، وللدلالة على قدرة الاقتصاد الإسرائيلي أنه أحد الاقتصاديات المتقدمة القليلة التي لم تتأثر بالأزمة العالمية ٢٠٠٨.

تشمل القطاعات الرئيسية للاقتصاد الإسرائيلي:-

- الصناعات العسكرية والخدمات الأمنية[١]، حيث تصدر أكثر من ٥٠٠ نوع سلاح إلى أكثر من ستين دولة، وتشمل قائمة المنتجات العسكرية المسموح بتصديرها قطع غيار الطائرات الأمريكية، والألغام بأنواعها، وأجهزة الاتصالات والإعاقة والتصنت، وأجهزة الرؤية الليلية والتصوير الجوي، والرشاشات وبنادق القتال والدبابات، ونظم الرادارات طراز ألفا والصواريخ أرض جو، وجو جو الطائرات بدون طيار «سكوت» وطائرات النقل «ارافو» وطائرات التدريب (ATG) والاستطلاع «هارون»، والزوارق الحربية السريعة طراز «سوبر دنورا»، والأقمار الصناعية طراز «افق» و«عاموس». كما تنتشر البندقية المتطورة «تافور-٢١» بين أهم أطقم الحراسات والقوات البرية بالعالم، بالإضافة إلى الرشاش الشهير «عوزى»، نعتقد أن رقم الصادرات الحقيقية العسكرية الإسرائيلية أكبر من هذا ويتراوح بين ١٥-٢٠ مليار دولار سنويًا.
- التكنولوجيا الفائقة، مثل: البرمجيات، الحواسيب، أشباه الموصلات، النانوتكنولوجي، الاتصالات وأجهزة التصنت والتشويش وحماية الشخصيات المهمة[٢]، الأدوية الحيوية خصوصًا أدوية الإيدز والقلب والسرطان، كاميرات المراقبة والأجهزة البصرية ومكونات الاقمار الصناعية.
- الأجهزة الطبية والتركيبات والأسنان الصناعية.

---

(١) تصدر إسرائيل بما يقارب الـ ١٠ مليارات دولار أسلحة ومعدات عسكرية سنويًا، وتحتل المركز الثامن في أهم الدول المصدرة للأسلحة والمعدات العسكرية بالعالم.

(٢) معظم أطقم الحماية لرؤساء العالم وعلىٰ رأسهم الزعماء العرب تستخدم أجهزة اتصالات وإعاقة وشوشرة ومركبات مصفحة صناعة إسرائيلية وأشهر هم رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري.

- السياحة (ثلاثة ونصف مليون سائح سنويًّا).
- المواد الكيماوية والطبيعية، وأهمها: الرمال، والحجر الصخري، والجبس، والبوتاس، والمغناسيوم، والزيت الصخري، والغاز الطبيعي.
- الألماس، تصدر إسرائيل ما يقدر بـ ١٦ مليار دولار سنويًّا، ويتحكم اليهود عمومًا في تجارة الماس عالميًّا حيث تتحكم الشركات اليهودية في كامل منظومة التجارة، بداية من المناجم في وسط وجنوب إفريقيا إلى الصقل والتصنيع إلى البيع والتوزيع حجم الانتاج السنوي قدره حوالي ٢٦ طنًا من الحجارة الكريمة ما يعادل ١٣٠ مليون قيراط.
- المواد الغذائية والتبغ والمشروبات.
- سيارات النقل والمقطورات والصناعات الهندسية الثقيلة.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن إسرائيل وشركاتها المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحواسب ثاني أكبر مُنتِج لتلك التكنولوجيات على مستوى العالم بعد وادي السيلكون في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وكانت إسرائيل أول مركز للأبحاث والتطوير خارج الولايات المتحدة لشركات مهمة، مثل: إنتل وميكروسوفت، وأبل، وقبلها موتورولا. كما تحتل الشركات الإسرائيلية المركز الثالث على مؤشر «ناسداك» كعدد شركات مدرجة بأهم بورصة لشركات تكنولوجيا المعلومات بالعالم.

في عام ٢٠١٠ انضمت إسرائيل إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ووقعت اتفاقيات للتجارة الحرة مع الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، وتركيا، والمكسيك، وكندا، ومصر. كما أن إسرائيل عضو في الرابطة الأوروبية للتجارة الحرة. وتعد دولة إسرائيل أول دولة خارج أمريكا اللاتينية تشترك في اتفاقية التجارة الحرة مع كتلة الميركوسور.

يتميز الاقتصاد الإسرائيلي بأنه اقتصاد معرفي، ترتبط فيه مراكز الأبحاث والجامعات وكافة الطاقات العلمية الإسرائيلية بمكونات الاقتصاد الصناعي والزراعي والخدمي وكلاهما يدعم الآخر، ويكفي أن نعلم أن دولة الإمارات انتبهت لهذا مؤخرًا فبادر الشيخ «محمد بن راشد» رئيس وزرائها اعتبارًا من عام ٢٠١٥ بتدشين خطة تكلفتها ٣٠٠ مليار دولار لتحويل اقتصادها ليكون مشابهًا

للاقتصاد الإسرائيلي، وكذلك يتحدث ولي العهد السعودي «الأمير محمد بن سلمان» عن الأمر نفسه ويتحدث عن خطة شبيهة تتكلف ٦٠٠ مليار دولار، بينما في إيران فقد بدأ الأمر مبكرًا منذ ٢٠٠٣ وهو ما مكنها من مواجهة الحصار الاقتصادي الغربي المفروض عليها، والاعتماد ذاتيًّا على إمكانياتها الذاتية وطاقاتها العلمية والبحثية في دعم اقتصادها بمختلف مكوناته، وحل مشكلاته بالجهود المحلية وخاصة في التصنيع العسكري، أما تركيا فقد بدأت في ٢٠٠٢ الأمر نفسه مما رفع من مستوى جودة الصادرات التركية، وأسهم في نموها حتى بلغت ما يقارب ٨ أضعاف الصادرات المصرية، بينما في مصر لا يوجد أيُّ خطط أو حتى اتجاه حكومي حتى الآن لتحويل الاقتصاد إلى اقتصاد المعرفة، حيث مازالت التوجهات الحكومية تتأرجح بين نماذج اقتصاديات خمسينات وستينات وسبعينات القرن الماضي، أو خليط مشوه مما سبق، وحيث تزاحم الحكومة والجيش القطاع الخاص، ومازالت الحكومة المصرية تسوق السكر والزيت والصابون واللحوم والدواجن والأسماك والخضراوات والخبز والأجبان وكعك العيد والزبدة الفلاحى!!!! ومازالت الحكومات المتعاقبة تتخبط منذ ثورة ١٩٥٢ في توجهاتها الاقتصادية، دون أمل في قرارات استراتيجية جادة علمية رزينة تؤسس لاقتصاد قوي ذي ملامح واضحة وسياسات ثابتة تعتمد على مبدأ الشفافية.

رغم أن إسرائيل دولة صغيرة المساحة قليلة عدد السكان إلا أنها تحقق اكتفاءً ذاتيًّا من الحاصلات الزراعية عدا الحبوب، وتمثل الصادرات الزراعية نسبة ٤% من إجمالي الصادرات، كم يمثل الاقتصاد الزراعي ٣% من الناتج المحلي الإجمالي.

تاريخيًّا وعلى مدار عمر الدولة تعاقبت حكومات قوية، وذات خبرات سياسية وعملية عالية، أسهمت في استمرار تقدم الاقتصاد وتنوعه ومرونته، وكانت دائمًا الإمكانيات البشرية والعلمية تمد الاقتصاد وتشحنه بموارد لا تنضب من الكفاءات البشرية ساعدتها التعويضات الألمانية (خطة الـ ٢٠٠٠ مصنع عالي التكنولوجيا)، والمساعدات الأمريكية ودعم يهود الخارج، والهجرات التي أتت

إلى الدولة في الخمسينات والستينات والتسعينات في تخطي أزمات إقليمية عديدة، وتجنيب الاقتصاد ضغوط تضخمية أو انكماشية لفترات طويلة نتيجة الحروب والأزمات العالمية، ومنذ عام ٢٠٠٠ وحتى الآن تُحقق إسرائيل معدلات نمو اقتصادي متوسط ١٠%، الأمر الذي مكنها من مضاعفة ناتجها المحلي الاسمى الإجمالي أكثر من الضعف في أقل من عشر سنوات، تمثل الصادرات عالية التكنولوجيا ٤٤% من جملة الصادرات، تذهب غالبها إلى الهند والصين (إسرائيل تحتل المركز الثالث على العالم من حيث عدد الشركات المدرجة بمؤشر «ناسداك»)، والصادرات متوسطة التكنولوجيا ٣٧% من إجمالي الصادرات البالغة ٦٠ مليار دولار ٢٠١٤[١]. في أثناء زيارة رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو إلى الصين في بداية عام ٢٠١٧ وتحديدًا في شهر مارس بمناسبة مرور خمس وعشرين عامًا على العلاقات الصينية الإسرائيلية، وقف متباهيًا أمام الرئيس الصيني يخاطبه في موقف الند للند قائلًا إن بلدينا عظيمتان، أنتم تحتاجوننا في مجالات عديدة، وتحتاجون التكنولوجيا والعلم المتقدم الذي تتمتع به دولتنا، نستطيع أن نمدكم بهما في صورة صادرات عالية القيمة التكنولوجية من خلال شركاتنا القوية، ونحن نحتاجكم في مجالات عديدة أخرى؛ لهذا فإنني اليوم أتطلع إلى تأسيس علاقات أكثر تطورًا ووثوقًا لمصلحة البلدين، فيرد عليه الرئيس الصيني، بنعم الصين واسرائيل تتمتعان بمزايا تكميلية وان التقنيات الاسرائيلية تستخدم بكفاءة وكثافة بالاقتصاد الصينى بمجالات عديدة مثل الزراعة والمياه والتكنولوجيا والصحة وحماية البيئة، في بلادنا تستخدم المنتجات الإسرائيلية في مجالات كثيرة وعلى نطاق واسع[٢]، بينما إذا ما طالعنا نتائج زيارات قادة الدول العربية فلا يملكون ما يقدمونه إلى الصين إلا فواتير شراء بمليارات الدولارات، من المنتجات الصينية، تسهم في زيادة الفجوة التجارية لصالح الصين.

---

(١) صادرات مصر ٢٦ مليار دولار أغلبها منتجات زراعية وبتروكيماويات ومواد بناء منخفضة المحتوىٰ التكنولوجي.

(٢) تتفاوض إسرائيل والصين حالياعلىٰ اتفاقية تجارة حرة، ترفع فيها القيود علىٰ الصادرات والواردات بين البلدين بشكل كامل، كما ومنذ العام ٢٠٠٩ قام البلدين بانشاء واحة التكنولوجيا الصينية الاسرائيلية فىٰ منطقة قاوشين بمقاطعة تشينغدوا.

رغم الإنجازات الواضحة للاقتصاد الإسرائيلي إلا أن معدل الفقر يبقى المشكلة الأهم للحكومة الإسرائيلية (٢٠%)، حيث تحتل إسرائيل المركز الأول في أعلى معدلات الفقر بين الدول المتقدمة، بينما تحتل المركز الرابع بين أسوأ الدول المتقدمة في توزيع الدخل بين فئات المجتمع، وسابع أدنى إنفاق حكومي على الخدمات الاجتماعية حسب تقرير مركز TAOP لدراسات السياسات الاجتماعية لإسرائيل (٢٠١٤)، كما يؤثر سلبًا التنافس بين إسرائيل وتركيا وايران على مكانتها في مجال الصادرات عالية التكنولوجيا إلى مختلف دول العلم، بل إن التهديد الاقتصادي والتنافس بين الدول الثلاث يظهر بوضوح في أسواق دول أمريكا اللاتينية وإفريقيا، وتحاول تركيا وإيران تعويض الفجوة بينها وبين إسرائيل في مجالات التكنولوجيا المتقدمة، مثل: الصناعات العسكرية، وتكنولوجيا الوقود النووي، وتكنولوجيا الفضاء، ببرامج تصنيع وأبحاث مكثفة إلا أن إيران تفوقت على إسرائيل وتركيا ولأول مرة في مجال صناعة الأقمار الصناعية فائقة الصغر نانوساتاليت، وتكنولوجيا الفضاء بصفة عامة، وتكنولوجيا دورة الوقود النووي، وتكنولوجيا الصواريخ الباليستية، بينما تبقى كل من مصر والسعودية خارج المنافسة بدون إمكانيات نووية أو فضائية أو حتى عسكرية استراتيجية متطورة، كما تفتقد كلا الدولتين أية بنية تحتية علمية واسعة وذات كفاءة؛ تجعلها منافسًا مستقبلًا لتلك الدول في تلك المجالات العلمية والاقتصادية المهمة.

القوة الجيوستراتيجية (الجغرافية)

تعتبر الحدود السياسية لإسرائيل واحدة من أكثر الأمور المثيرة للجدل، فإسرائيل لم تعلن حدودها الرسمية بالكامل منذ إعلان قيامها في ١٤ مايو ١٩٤٨ قبل ثماني ساعات من إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها على أراضي فلسطين، وقد توسعت دولة إسرائيل خارج أراضي الانتداب لتسيطر على ٧٥% من مساحة تلك الأراضي بنهاية حرب ٤٨. عمومًا تقع إسرائيل داخل قارة آسيا، وهي تعد دولة صغيرة المساحة ليست ذات أهمية جيواستراتيجية (٢٢ ألف كم مربعًا)، وهي أشبه بمستطيل صغير طوله ٤٧٠ كم، وأقصى عرضه ١٣٥ كم، يحدها من الغرب ساحل البحر المتوسط، ومن الشرق هضبة الجولان السورية والأردن والبحر الميت، ومن الشمال لبنان، ومن الجنوب مصر وشريط ضيق على البحر الأحمر،

تمثل المناطق القاحلة منها ٤٥% من إجمالي مساحتها والجبال ١٦%، أيْ أكثر من ٦٠% من مساحتها لا تصلح لأي أنشطة اقتصادية أو سكانية، كما تعد إسرائيل من الدول الفقيرة مائيًّا؛ حيث يبلغ نصيب الفرد من المياه حوالي ٣٠٠ متر مكعب سنويًّا، غالبها من أنشطة تحلية مياه البحر، كما يمكن وصف مناخها بأنه بحر متوسطي، حيث تقع جبال الجليل في الشمال، وفي الوسط سهول ساحلية، وفي الجنوب صحراء النقب، مناخ إسرائيل بحر متوسطي؛ حيث في الشمال جبال الجليل، وفي الوسط سهول ساحلية، وبالجنوب صحراء النقب، درجات الحرارة تختلف طوال العام إلا أنه بالشتاء يسقط الجليد على المناطق الشمالية والشرقية.

خريطة لإسرائيل موضح بها أهم المدن

عمومًا يعتبر ضآلة العمق الاستراتيجي لإسرائيل بصفة خاصة (١٣٥ كم) وصغر مساحتها بصفة عامة نقطة ضعف بالغة في منظومة القوة الشاملة للدولة، حيث يمكن وبسهولة لأية دولة تمتلك قدرات بحرية أو جوية أو صاروخية هجومية متميزة ان تشل قدرات الدولة بالكامل وتلحق ضررا كبيرا بمرافقها، كما يمكن لوحدات إنزال بحرية ومظلات وضفادع بشرية أو وحدات صاعقة بالاضافة الى القدرات السابقة فرض حصار بحري وبري وجوى لغزو إسرائيل وتقسيمها بسهولة إلى عدة قطاعات، وفصل شمال إسرائيل عن جنوبها، وغربها عن شرقها مع السيطرة على أهم الطرق لقطع طرق إمداد الجيش بالقوات الاحتياطية ونقل أرض المعركة ولأول مرة منذ حرب ٤٨ إلى داخل العمق الإسرائيلي، حيث سيتم قطع الموارد البشرية والاقتصادية عن القوات العسكرية، وتكوين رءوس جسور تهدد احتياطيات الجيش، وتضع الدولة بكاملها في حالة حرب خطرة تهدد وجودها، كما أن تركز غالب النشاط الصناعي والتجاري الإسرائيلي بمنطقة وسط إسرائيل محصورة بين الضفة الغربية والبحر المتوسط يجعل أهم معاقل إسرائيل الاقتصادية في خطر بالغ في أي مواجهة عسكرية مع خصم قوي مدرب عنيد.

القوة العسكرية

تمتلك إسرائيل قدرات عسكرية، وتكنولوجية متطورة، ورغم صِغر مساحتها وضآلة عدد سكانها إلا أنها دولة كبرى وسط دول العالم، حيث تحتل الترتيب الحادي عشر (جلوبال فاير ٢٠١٤) عالميًّا[١].

وهذا يفسر أهمية الجبهة السورية لمصر، وأهمية الجبهة المصرية لسوريا؛ فوجود جبهتين للقتال يمتص قدرًا مناسبًا من قوة نيران آلة الحرب الإسرائيلية، ويقسم التفوق الإسرائيلي الضخم والهائل إلى درجات تمكن الدول الأخرى من استيعابه والتعامل معه، لنا أن نتخيل نتائج حرب ٧٣ لو كانت إسرائيل تحارب على جبهة واحدة، كما أن تحليل الخسائر في الأفراد والمعدات في نفس الحرب على الجبهتين السورية والمصرية يعطينا تصورًا لمدى مستوى الاستعداد والتدريب

(١) عدد محدود من الدول العظمىٰ يمتلك قوات عسكرية قادرة علىٰ القتال علىٰ أكثر من جبهة وبكفاءة في وقت واحد، بالإضافة إلىٰ امتلاك أسلحة استراتيجية، إسرائيل تستطيع وتملك ذلك.

المتقدم الذي يلقاه الجندي والضابط الإسرائيلي، وحداثة عتاده الحربي وتسليحه وتقدمه رغم عنصر المفاجأة الذي يمثل نصف الطريق إلى النصر، اليوم تبلغ ميزانية آلة الحرب الإسرائيلية ١٥ مليار دولار (٢٠١٤)، فإسرائيل الدولة الوحيدة بالعالم التي تفرض الخدمة العسكرية الإلزامية على الإناث، وهي تطبق على كل من بلغ ١٨ عامًا، فالرجال يخدمون من سنتين إلى ثلاث سنوات، وخدمة الإناث واحد وعشرون شهرًا، وبعد انتهاء فترة الخدمة الإلزامية يصبح الجميع ضمن قوات الاحتياط حتى سن الواحد والخمسين للرجال والتاسع والثلاثين للإناث، كما أنه يتم استدعاء جميع قوات الاحتياط لمدة واحد وثلاثين يومًا سنويًّا، فغالبًا ما يخدم فرد الاحتياط الإسرائيلي في وحدته التي خدم بها خلال فترة تجنيده الإلزامية، ويُستثنى من ذلك طلبة العلوم الدينية، وطلبة الدراسات العليا، والعرب عدا الدروز، والنساء المتزوجات ولديهن أطفال فيمكن أن يستبدلن الخدمة العسكرية بنوع آخر من الخدمة يسمى خدمة المجتمع، وعدد مناطق تعبئة الاحتياط بإسرائيل تسع مناطق (نقطة ضعف واضحة إذا ما تم اختراق الدفاعات الجوية وقت الحرب كما يمكن وبسهولة استهداف تلك المناطق بالصواريخ أو الوحديات الخاصة).

إسرائيل لها وضع خاص بحلف شمال الأطلنطي الناتو ومنذ عام ١٩٨٩ ومنذ عهد الرئيس الأمريكي «جورج بوش الأب» تحوذ رسميًّا على لقب حليف رئيس خارج الحلف، وهذا الوضع يتيح لها الولوج إلى خطط الحلف أوقات الأزمات وقاعدة بياناته الاستخبارية، كما يسهل من الأمور اللوجستية عند التعاقد على صفقات التسلح واتفاقات التوريد والتصنيع المشترك لبرامج التسلح فائقة التكنولوجيا.

ونحن نتحدث عن جيش الدفاع الإسرائيلي لا يمكن أن ننسى «شمعون بيريز»، أحد أهم الآباء المؤسسين لجيش الدفاع الإسرائيلي وصاحب تغيير استراتيجيته من الدفاع إلى الهجوم في أوائل الستينات من القرن الماضي، ومؤسس برنامجها النووي وصناعاتها العسكرية بالاشتراك مع رئيس وزراء اسرائيل وبطلها القومي «دافيد بن جوريون»، وله إيادٍ بيضاء في خدمة بلاده في أغلب

المناصب الحساسة التي خدم بها[١]، يوجد في إسرائيل ٢٠٠ شركة تعمل في مجال التصنيع العسكري، وتبلغ حصتها من تجارة السلاح العالمية ١٠%، وأهم شركات السلاح الإسرائيلية شركة «رافائيل» للصناعات العسكرية وشركة IAI التي يرتكز عليها برنامج الفضاء الإسرائيلي (أسسها شمعون بيريز أيضًا)، وشركة البيت (التي تصنع خوذات الطيارين للطائرة الأمريكية الأكثر حداثة بالعالم إف ٣٥)، وشركة «تاعاس» (مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية المسئولة عن تصدير السلاح من إسرائيل)، وهنا تجدر الإشارة أن إسرائيل كانت شريكًا للولايات المتحدة في برنامجها حرب النجوم، الذي تبنته في بداية الثمانينات من القرن الماضي، وكان يتضمن أهدافًا ضخمة تضمن التفوق الجوي والفضائي للولايات المتحدة دون منازع، وبمجرد مشاركتها قدمت ما يزيد على مائة وخمسين بحثًا رئيسا مهمًّا، أسهم في تقدم البرنامج وأوضح مدى تقدمها وقدراتها البحثية.

بيانات عددية إحصائية عن قدرات الجيش الإسرائيلي

يمتلك جيش الدفاع الإسرائيلي ما يلي:-

- ٢٠٠ ألف جندي نظامي.
- ٤٠٠ ألف جندي احتياطي يمكن زيادتهم إلى ٦٠٠ ألف.
- ٤٠٠٠ دبابة، أهمها «الميركافا» فخر الصناعات الحربية الإسرائيلية، والدبابات الأمريكية أم ٦٠ و٥٨ و٤٨ تطوير إسرائيلي.
- ٦٥٠٠ ناقلة جند أنواع مختلفة.
- ٩٠٠ مدفع ذاتي الحركة عيارات مختلفة.
- ٤٠٠ مدفع بمقطورة عيارات مختلفة.

---

(١) لاحظ كفاءة النظام السياسي الإسرائيلي في الاستفادة من أبنائه الوطنيين، ودعمه لهم، وإتاحة الفرصة لهم؛ لخدمة بلادهم في الأماكن المختلفة، ثم قارن بين سلوك النظام المصري السابق وكيف يتخلص من أبنائه النابهين المخلصين. وأترك للقارئ أن يبحث عن أسباب التنكيل بالفريق سعد الدين الشاذلي، وإقالة المشير الجمسي من منصبه كوزير للدفاع، وإقالة المشير أبي غزالة، واللواء أحمد رشدي، والدكتور احمد الجويلي وغيرهم. هم جميعًا معلوم عنهم عبقريتهم ووطنيتهم وكفاءتهم، وكان يمكن الاستفادة من مواهبهم الإدارية والتنظيمية في وزارات وهيئات أخرى.

- ٦٥٠٠ مدفع هاون عيارات مختلفة.
- ٢٥٠ راجمات صواريخ.
- ١٥٠٠ قاذف مضاد للدروع.
- ٢٧٠ طائرة مقاتلة طراز إف ١٦.
- ١٠٠ طائرة مقاتلة طراز إف ١٥[١].
- ١٥٠ طائرة مقاتلة طراز إف ٤.
- ١٨٠ طائرة مقاتلة طراز سكاي هوك أيه ٤.
- ١٨٠ طائرة متعددة المهام طراز كفير إسرائيلية الصنع (تطوير إسرائيلي للطائرة الميراج).
- ٧٥ طائرة نقل طراز ارافو الإسرائيلية، وسى ١٣٠ الأمريكية.
- ١٤٠ طائرة هليوكوبتر هجومية طراز أباتشي وكوبرا.
- ٢٤ طائرة استطلاع جوي من أنواع مختلفة، أهمها أيه، وإكس الأمريكية، وهارون الإسرائيلية الصنع.
- عدد غير محدود من الطائرات بدون طيار إسرائيلية من طراز اسكوت وأمريكية الصنع.
- عدد غير محدد من طائرات التدريب طراز إيه تي جى جفالين الإسرائيلية الصنع.
- ١٢ قاعدة جوية.
- ثلاث غواصات دولفين[٢].
- ١٥ طراد صواريخ.
- خمس سفن إنزال.
- سفينتان دعم لوجستي.
- أربعون زورقًا دورية.

---

(١) لا توجد تلك الطائرة خارج الولايات المتحدة إلا في إسرائيل، وتوجد نسخة لدىٰ المملكة العربية السعودية أقل في التجهيزات والقدرات.

(٢) سوف تنضم ثلاث غواصات أخرىٰ من نفس النوع بحلول العام ٢٠٢٢.

- ٨٠-٢٠٠ قنبلة نووية.
- عدد غير محدد من القنابل النيترونية.
- عدد غير محدد من القنابل النووية التكتيكية والألغام.
- عدد غير محدد من القنابل النووية المحمولة (حقيبة سفر).
- عدد غير محدد من الرءوس الكيماوية[١].
- عدد غير محدد من الرءوس البيولوجية، أهمها الجمرة الخبيثة.
- عدد غير محدد من الصواريخ قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى من طراز باتريوت وبابای تيربو (نسخة مطورة من كروز الأمريكى)، ولانس وجيريكو وارو واريحا ١ (٥٠٠ كم)، واريحا ٢ (١٥٠٠ كم)، والصواريخ شافيت (٣٥٠٠ كم)، ونيكست (نسخة مطورة من الصاروخ شافيت ٤ مراحل إطلاق تعمل الأخيرة بالوقود السائل) القادر على إطلاق الأقمار الصناعية الرءوس النووية والكيماوية والبيولوجية.

ووفق أغلب التقارير التي تتناول البرنامج النووي الإسرائيلي فغالبها يجمع أن إسرائيل أنهت برنامجها لتصنيع الأسلحة النووية والهيدروجينية بحلول عام ١٩٩٥، وهي تمتلك المخزون المذكور سابقًا، ولكنها مستمرة في الأبحاث؛ لامتلاك أسلحة أكثر فتكًا، وأقل كلفة من الموجودة بترسانتها، ومن المؤكد والثابت أن إسرائيل دولة عظمى في المجال النووي لا تقل إمكانياتها التسليحية والعلمية عن أي من الدول الكبرى دائمة العضوية بمجلس الأمن، أيضًا ما يجب ذكره أن إسرائيل تعاقدت مع شركة لوكهيد الأمريكية على توريد ٣٥ طائرة من طراز إف ٣٥، أحدث طائرات سلاح الجو الأمريكي وبمواصفات إسرائيلية تنتجها صناعاتها الحربية وبخاصة مكونات التحكم، وخوذة الطيار وقمرة القيادة، وقد تسلمت إسرائيل عددًا منها في نهاية عام ٢٠١٦ (١٢ طائرة)، وهي طائرات شبحية من الجيل الخامس، لديها القدرة على إصابة أهدافها بدقة من على بعد أكثر من ٣٠٠ ميل بحري، وهي بهذا تستطيع إصابة أهدافها الأرضية أو الجوية أو البحرية دون أن تشعر بها تلك الأهداف أو تراها أصلا بفضل تفوق رادارها، ودقة بصمتها الرادارية، والمدى البعيد المؤثر لصواريخها.

---

(١) الآحادية والثنائية، وأهمها غازات الـ CI, GA, CG, HD, GD, VX.

المخابرات الإسرائيلية:

يدعم آلة الحرب الإسرائيلية أجهزة استخبارات عالية الكفاءة والخبرة، مشهود لها عالميًّا، تتكون من:-

- الموساد (الاستخبارات الخارجية).
- أمان (الاستخبارات العسكرية).
- شاباك، الشين بيت سابقًا (الاستخبارات الداخلية).

○ الموساد:

تأسس الموساد عام ١٩٣٧؛ بغرض تسهيل الهجرة إلى إسرائيل، وهو المسئول عن المخابرات الخارجية، ويقوم بالدراسات الاستراتيجية، وتنفيذ عمليات خارجية لحماية أمن إسرائيل، بالإضافة إلى عمليات التجسس السياسي والاقتصادي والعلمي، وجمع المعلومات الاجتماعية والإحصائية عن الأعداء المحتملين للدولة وأيضًا الأصدقاء، يتكون الموساد من أربعة اقسام رئيسة هي:-

١- قسم المعلومات.
٢- قسم العمليات.
٣- قسم الإعلام والحرب النفسية.
٤- قسم التدريب.

من أبرز عمليات الاغتيال التي نفذها الموساد:-

١- اغتيال «مصطفى بدر الدين» قائد الميلشيات العسكرية لحزب الله اللبناني بدمشق في ١٦ إبريل ٢٠١٦.
٢- اغتيال الشيخ «أحمد ياسين» مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة ٢٢ مارس ٢٠٠٤.
٣- اغتيال الزعيم الفلسطيني ومؤسس حركة فتح في ١١ نوفمبر ٢٠٠٤.
٤- اغتيال «عباس الموسوي» أمين عام حزب الله اللبناني في ١٦ يناير ١٩٩٢.
٥- اغتيال فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥.

٦- اغتيال «أبي جهاد» الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية بمقر إقامته في تونس ١٦ إبريل ١٩٨٨.
٧- اغتيال عماد عقل مؤسس كتائب القسام الجناح العسكري للمقاومة الإسلامية حماس في ٢٤ نوفمبر ١٩٩٣.
٨- اغتيال العالم المصري «يحيى المشد عام» ١٩٨٠ العالم النووي البارز.
٩- اغتيال العالم المصري «سعيد سيد بدير» عام ١٩٨٩ العالم العبقري في مجال التحكم في الأقمار الصناعية وإسقاطها.

عمومًا، ومنذ تأسيس الموساد يحتل الجهاز أحد المراكز العشر الأولى ضمن أهم وأقوى أجهزة المخابرات بالعالم، وجميعها دول عظمى ودول كبرى وتحظى تقديراته وتقاريره ومعلوماته بمصداقية عالية لدى الأجهزة المماثلة بالدول الكبرى.

○ أمان (الاستخبارات الحربية):

هي المسئولة عن إمداد الحكومة الإسرائيلية بالمعلومات والتقارير الاستراتيجية التي يتم بناء عليها صياغة السياسات العامة للدولة، ويعد «أمان» أكبر جهاز استخباراتي بالدولة وأكثرها أهمية ونفوذًا وكلفة مالية، يمكن لـ «أمان» القيام بعمليات استخبارية خارجية بالدول المجاورة لإسرائيل، وما عدا هذا فأنه يدخل في نطاق جهاز المخابرات الخارجية الموساد.

○ الشاباك (الاستخبارات الداخلية):

وهو مسئول عن مقاومة حركات المقاومة الفلسطينية داخل وخارج إسرائيل، وله الصدارة على مستوى العالم في اختراق المنظمات الإرهابية والتعامل معها والتأثير على قادتها، وتحتل تقاريره فيما يخص القضية الفلسطينية ومفاوضات السلام مع العرب - الأولوية عن تقارير أجهزة الاستخبارات الأخرى لدى الحكومة الإسرائيلية، وهو من يقف خلف غالب عمليات الاغتيال التي تمت ضد قادة حركات المقاومة في: فلسطين، ولبنان، وسوريا، والإمارات، وتونس، والسودان، وغيرهم. كما أنه من أكفأ أجهزة المخابرات بالعالم في اختراق المنظمات الإرهابية وإمداد دول الغرب بكم هائل من المعلومات والإنذارات عن أنشطة تلك المنظمات.

البرنامج الفضائي الإسرائيلي

بدأ البرنامج الفضائي الإسرائيلي في عام ١٩٨٣ بإنشاء وكالة الفضاء الإسرائيلية ISA، وجاء في ديباجة إنشائها أن الاستشعار عن بعد (تكنولوجيا التصوير الفضائي وتحليل الصور) أداة رئيسية من أدوات الدفاع عن أمن الدولة بالإضافة إلى كونه رافعة للتقدم العلمي والتقني وقاعدة أساسية لاقتصاد المعرفة.

لدى إسرائيل قاعدة لإطلاق الأقمار الصناعية، ومحطات أرضية للتحكم والمتابعة في «بايكونور» بجمهورية «كازاخستان»، كما أن لديها قاعدتها الجوية الخاصة التي تطلق منها أقمارها وهي قاعدة «بلماشيم»، وكانت تتعاون سابقًا في إطلاق أقمارها من الهند ومركز الفضاء الأوروبي بـ «غينيا الاستوائية».

مر برنامج الفضاء الإسرائيلي بثلاث مراحل بدأت من عام ١٩٩٠ وحتى اليوم، حيث تم في إبريل من العام الأول للبرنامج إطلاق القمر أفق ١ وهو تجريبي يحمل معدات بسيطة واستمر في مداره حوالي ثلاثة شهور وهو من أقمار التجسس.

المرحلة الثانية: وانتهت في عام ١٩٩٥ بإطلاق القمر الصناعي أفق ٣ الذي يعد نسخة أكثر تقدمًا من أفق ١ ويمكنه البقاء في الفضاء لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

المرحلة الثالثة: وتضمنت إنتاج وإطلاق سلسلة أقمار أفق ٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ وعاموس الأكثر تقدمًا وعمرًا من أفق ٣.

أطلقت إسرائيل منذ بدء برنامجها الفضائي ٩ أقمارًا للتجسس من عائلة أفق، اليوم إسرائيل لديها ثلاثة أقمار تجسس عسكرية (أفق ٧ و٨ و٩) قدرة تميزها ٨٠ سم ما يعني أنها قادرة على تمييز ما يحمله الناس على الأرض، وتمر فوق جميع الدول العربية ست مرات يوميًّا ماسحة كل شبر فوق الأرض وتحت الأرض[١]، بالإضافة إلى خمسة أقمار اتصالات عسكرية ومدنية من عائلة عاموس AMOS، وتخطط لإطلاق عاموس - ٦ خلال العام ٢٠١٦ (انفجر القمر أثناء إطلاقه في أغسطس من عام ٢٠١٦ أثناء طباعة الكتاب) بالإضافة إلى قمرين

(١) لاحظ أن أقمار التجسس الروسية والأمريكية تمر مرة واحدة فوق بلدان الشرق الأوسط.

لاكتشاف الثروات الطبيعية من طراز اروس EROS، وهي صاحبة الكشف الإسرائيلي عن مكامن الغاز الطبيعي بشرق البحر المتوسط، وتخطط إسرائيل بالتعاون مع ألمانيا لإطلاق قمر صناعي يبلغ دقة تمييزه ١٠ سم اسمه ديفيد ويستخدم أيضًا في اكتشاف الثروات الطبيعية، أيضًا تتبادل إسرائيل المعلومات العسكرية والتجارية، التي تحصل عليها من شبكة أقمارها مع الولايات المتحدة التي تمتلك شبكة أقمار تتجاوز الـ ٤٥٠ قمرًا صناعيًّا ودقة تميزها ٣٠ سم. كما أن القمر الأمريكي FEW القادر على رصد عمليات إطلاق الصواريخ سكود والصواريخ الباليستية وإرسالها مباشرة إلى بطاريات الصواريخ الباتريوت الموجودة لدى إسرائيل.

يدعم البرنامج الفضائي الإسرائيلي ست مؤسسات بحثية وإنتاجية ضخمة هي:

١- اللجنة القومية لأبحاث الفضاء (أنشأت في ١٩٦٠).

٢- معهد أبحاث الفضاء (تأسس في ١٩٨٦).

٣- معهد أشر لبحوث الفضاء التابه لمعهد تخنيون التقني.

٤- مجموعة شركات IAI والتابع لها مصنع MBT، وهو المصنع الرئيس للبرنامج الفضائي الإسرائيلي حيث يتم إنتاج أقمار التجسس والاتصالات ووسائل إطلاقها، وفيه قسم معالجة الصور الجوية وتحليلها، ويحتوي على عدد من المختبرات وغرف الاختبار المتقدمة.

٥- مصنع MLM، وهو ينتج الإلكترونات التي يحتاجها برنامج الفضاء الإسرائيلي والقوات الجوية ويقوم بتصنيع أجهزة القيادة والسيطرة والاتصالات ومعالجة الصور والبيانات وأيضًا الصاروخ NEXT، كما يصنع الخلايا الشمسية وأجهزة توليد الطاقة للأقمار الصناعية.

٦- مصنع TAMAM، وهو المسئول عن إنتاج أجهزة الاتزان والمستشعرات الدقيقة الضرورية لصواريخ الإطلاق والأقمار الصناعية.

كما توجد اتفاقات تعاون وأبحاث مشتركة مع عدد من وكالات الفضاء العالمية الكبرى مثل:-

- وكالة الفضاء الأمريكية NASA.

- المركز الوطني للدراسات الفضائية الفرنسية CNES.
- وكالة الفضاء الكندية CSA.
- منظمة بحوث الفضاء الهندية ISRO.
- المركز الفضائي الألماني DLR.
- وكالة الفضاء الروسية RSA.
- وكالة الفضاء النمساوية NIVR.
- وكالة الفضاء البرازيلية AEB.

القدرات النووية والاستراتيجية الإسرائيلية

صورة مفاعل دَيْمُونة الإسرائيلي بصحراء النقب

حسب بيانات مكتب تقييم التكنولوجيا التابع للكونجرس الأمريكي، فإن إسرائيل دولة نووية تمتلك قدرات هجومية كيماوية وبيولوجية متقدمة، ولديها وسائل إطلاقها برًا وبحرًا وجوًا. ويعتقد أنها وقبل حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧ كانت تمتلك عددًا من القنابل النووية تتراوح بين ٥-٢٠ قنبلة، وأنها منذ هذا التاريخ دولة نووية. اليوم تتحدث التقارير الدولية عن امتلاك إسرائيل ما يتراوح بين ٨٠-٢٠٠ رأس نووي بالإضافة إلى رءوس كيماوية وبيولوجية غير

محددة، كما تمتلك وسائل إطلاقها مثل الصواريخ: اريحا، وارو، وشافيت، ونيكست، وأيضًا الطائرات إف ١٥ وإف ١٦، وحديثًا إف ٣٥ بالغة التطور، بالإضافة إلى ثلاث غواصات دولفين الألمانية الصنع، القادرة على إطلاق الأسلحة النووية. ومما هو جدير بالذكر أن هناك روايات عديدة تربط اغتيال رئيس الولايات المتحدة «روبرت كيندي» في ستينات القرن الماضي، ومواقفه ضد البرنامج النووي الإسرائيل، وطموحها لامتلاك أسلحة هجومية متقدمة، حسب العقيدة التي وضع أسسها رئيس أركان الجيش الإسرائيلى بذلك الوقت ورئيس وزرائها السابق «شيمون بيريز» بالاشتراك مع «بن جوريون الأب» المؤسس لاسرائيل.

○ القدرات الإلكترونية الاستراتيجية (الوحدة ٨٢٠٠):

هي الوحدة المسئولة على عمليات التجسس الإلكتروني، وفك الشفرات، وهي تتبع المخابرات العسكرية الإسرائيلية «أمان»، وتدعى أيضًا في بعض الكتابات المتخصصة SIGINT، يقع مركز عملياتها الرئيس بصحراء النقب بالقرب من مستوطنة «كيبوتس»، حسب وصف الصحفي النيوزلندى «نيك هاغر» المتخصص بمجال الحرب الإلكترونية في تقريره المنشور بصحيفة «ليموند دبلوماتيك» في ١٥ أيلول ٢٠١٠ أن تلك الوحدة من أهم وحدات التصنت والحرب الإلكترونية بالعالم، وتغطي مجال عملها الشرق الأوسط كله وآسيا وإفريقيا وأوروبا، وهي لا تقل عن الوحدة الفرنسية المماثلة GCHQ أو الأمريكية NSA والمعروف بـ «اشلون» وهو نظام يسمى أحيانًا الأذن الكبيرة، قادر على تعقب ثلاث مليارات مكالمة يوميًّا بجميع أنحاء العالم، سواء كانت المكالمات من هواتف محمولة أو ثابته، أو باستخدام الإنترنت أو الأقمار الصناعية، يعمل بالمشروع نصف مليون موظف وميزانيته حوالي ٨ مليارات دولار، تتقاسم معلوماته كل من: أمريكا، كندا، إنجلترا، استراليا، نيوزيلاندا. وقد كان لها دورها البارز في التصنت على محادثات الرئيس المصري السابق «جمال عبد الناصر» خلال فترة الستينات، وغالب الرؤساء والملوك العرب.

تتلخص مهام عمل هذه الوحدة ٨٢٠٠ في: الرصد، التصنت، التصوير، التشويش، الهجوم الإلكترونى. يشمل نطاق عمل تلك الوحدة العالم كله، وتعتبر هذه الوحدة من أفضل وحدات التجسس الإلكتروني بالعالم، وأكثرها تقدمًا وخبرة وتجهيزًا، ويتميز أفرادها بإمكانيات علمية عالية ونادرة، وتتهافت شركات تكنولوجيا المعلومات على جذب الأفراد الذين يتم تسريحهم من تلك الوحدة. أبرز عمليات تلك الوحدة الحديثة زرع فيروس Stuxnet بالبرنامج النووي الإيراني عام ٢٠١٠، لتدمير أجهزة الطرد المركزية المسئولة عن تخصيب اليورانيوم ٢٣٥ حتى تركيز ٩٠%، وهي أيضًا مسئولة عن إطلاق فيروس دوكو DUQU المسئول عن التجسس على الدول المشاركة في المفاوضات ٥ + ١ حول برنامج إيران النووي في الفترة من ٢٠١٤ حتى ٢٠١٥.

يقول الزعيم الإسرائيلي «شمعون بيريز»: لكل مشكلة حل، والمشكلات التي ليس لها حل تكون حقائقًا والحقائق ليس لها حلول، لهذا ستبقى إسرائيل وعلى الرغم من تقدمها الهائل وتفوقها العسكري والفضائي والتكنولوجي تواجه الحقائق التالية: -

١- انعدام العمق الجغرافي يعتبر خطرًا مميتًا وضعفًا معجزًا في ميزان قوتها العسكرية وقوتها الشاملة.

٢- لا يمكن لإسرائيل أن تتحمل حربًا طويلة المدى حيث يمثل الجيش وقوات الاحتياط ١-١٢ من عدد السكان تقريبًا.

٣- يتركز النشاط الاقتصادي، وأهم الشركات، ومراكز الأبحاث، والمصانع المدنية والعسكرية، ونصف عدد السكان، ونصف القواعد الغربية - في الشريط المحصور بين الضفة الغربية لنهر الأردن والبحر المتوسط، الأمر الذي يجعل من السهل محاصرة تلك المنطقة الحساسة، ويسهل تدميرها في أية حرب مستقبيلة إذا ما توفرت القوات المناسبة عددًا وتدريبًا وتسليحًا.

القوة السياسية والقوة الناعمة

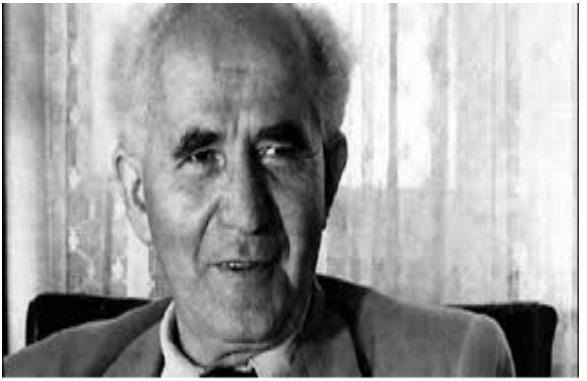

صورة ديفيد بن جوريون مؤسس إسرائيل وأول رئيس حكومة لها

إسرائيل نموذج رائع للدولة التي تدير باحترافية عالية عناصر قوتها الشاملة لخدمة بعضها بعضًا، وإسرائيل دولة بالقول الدارج تعلم جيدًا كيف تحول التراب ذهبًا، ليس في المجال الاقتصادي بل في كافة المجالات، ولا يجوز ونحن نتحدث عن القوة السياسية لدولة إسرائيل أن نفصلها عن قوتها الناعمة، وبالذات الإعلامية والعلمية والثقافية بأهم مناطق القوة والثروة بالعالم، فإسرائيل عضو بـ: منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة العالمية، والأمم المتحدة، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومؤسسة التنمية الدولية، ومؤسسة التمويل الدولية، ووكالة ضمان الاستثمار متعدد الأهداف، والمركز الدولي لتسوية المنازعات الاستشارية، والاتحاد من أجل المتوسط.

فيما سبق ذكرنا أن الشاباك (الشين بيت) وهو جهاز المخابرات الداخلية الإسرائيلية أنشئ بغرض مناهضة ومحاربة حركات المقاومة الفلسطسنية، وتحول إلى مفهوم كوني أشمل، وأصبح من أهم أجهزة المخابرات العالمية قدرة على اختراق المنظمات الإرهابية أينما كانت، ويشمل نطاق عمله العالم أجمع، الأمر الذي أحدث اشتباكًا وتداخلاً مع الموساد والمخابرات العسكرية «أمان»، إلا أن تقارير وتوصيات «الشين بيت» هي الفصل لدى الحكومات الإسرائيلية دون باقي أجهزة المخابرات الأخرى فيما يخص المنظمات الإرهابية وبخاصة حماس

والجهاد والقضية الفلسطينية بصفة عامة، والسؤال إذا كان مفهومًا أن نطاق عمل «الشاباك» المنظمات الفلسطينية فلِمَ يتجاوز نطاق عمله إلى جميع المنظمات الإرهابية العالمية؟ الإجابة تأتي في ما يلي:-

١- تعتبر دولة إسرائيل أن جمع المعلومات والبيانات عن المنظمات الإرهابية بالعالم؛ تعطي للدولة ككل بمختلف أجهزتها كنزًا من المعلومات، وبالتأكيد يوجد من يحتاجه ويدفع في سبيله الثمن ماليًّا أو سياسيًّا أو علميًّا.

٢- التغلغل إلى أركان المنظمات الإرهابية العالمية يتيح للدولة تصريف جزء من إنتاج صناعاتها العسكرية الضخم، الأمر الذي يضمن لتلك الصناعات موردًا مناسبًا من الموارد المالية مرتفعة الأرباح.

٣- النفوذ الإسرائيلي بتلك المنظمات يحقق مبدأ الإنذار المبكر الذي تحتاجه إسرائيل وحلفاؤها ضد أي عمليات إرهابية قد تستهدفها أو تستهدف أصدقاءها، وهو الأمر الذي يعود عليها بمكاسب سياسية واقتصادية وعلمية لا تقدر بثمن، ويكفي أن يعلم القارئ أن حصول إسرائيل على الكمبيوتر السوبر الفائق السرعة Cray 2 من الولايات المتحدة -رغم حظر تصديره حتى لدول أوروبا في عام ٢٠٠٢ وبعد أحداث نيويورك ١١ سبتمبر ٢٠٠١ - كان نتيجة لمثل تلك العمليات الاستخبارية، والمعلومات التي لا تقدر بثمن، والتي وفرتها إسرائيل عن تنظيم القاعدة بذلك الوقت، وحتى يعلم القارئ ما معنى أن تمتلك دولة ما هذه النوعية من الحاسبات؛ عليه أن يعلم أن هذا الحاسوب يستطيع أن يقوم بـ ١٠٠٠ تريليون عملية حسابية بالثانية، أي أن ما يقوم بعمله في ثانية يحتاج الكمبيوتر العادي لعمله ١٠ ملايين عام، وهو يستخدم لتحليل الصور المعقدة الفضائية والجوية، وتطوير الأسلحة النووية والاستراتيجية، والأبحاث العلمية المتقدمة، والتنبؤ بالطقس والكوارث الطبيعية.

أيضًا مما هو جدير بالذكر كإضافة إلى ما سبق أن يعلم القارئ أن الموساد مرر إلى الـ CIA في إبريل من العام ١٩٥٦ نسخة من خطاب سري للزعيم السوفييتي «خروشوف»، ألقاه قبل ذلك بشهرين أمام مؤتمر الحزب الشيوعي العشرين، ومنذ ذلك اليوم أدركت الأجهزة الأمنية الأمريكية مدى احترافية وقدرة

أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وإمكانية الاستفادة منها لخدمة مصالح الولايات المتحدة بصفة خاصة والغرب بصفة عامة، الأمر الذي أسهم في زيادة النفوذ الكلي لإسرائيل داخل أهم وأقوى دول العالم.

كانت تلك مقدمة ضرورية لاستيعاب القوة السياسية الإسرائيلية، وكيف تفرض إسرائيل نفوذها السياسى عالميًّا، وكيف تتعاون كافة أجهزة الدولة لدعم بعضها بعضًا، وتستخدم الدولة قدراتها العلمية والاستخباراتية والاقتصادية والعسكرية في تعظيم نفوذها السياسي وثقلها العالمي، وفيما يلي أهم النقاط التي يجب أن نستعرضها ونحن نتحدث عن القوة السياسية والقوة الناعمة الإسرائيلية، وكيف يتغلغل النفوذ السياسي الإسرائيلي إلى مختلف مناطق العالم خادمًا لعناصر قوتها الشاملة ومخدومًا أيضًا من باقي العناصر، فكما قلت إسرائيل نموذج رائع لإدارة الدول بالعصر الحديث بغض النظر عن معارضتنا الشديدة لسياساتها العنصرية أو مواقفها من مختلف القضايا الدولية والإقليمية وعداؤها التاريخى للدولة المصرية ومقاومتها لاى تقدم حقيقى فيها.

إسرائيل دولة ديموقراطية برلمانية، لا يوجد لديها دستور مدون[١]، بل هناك ما يعرف بالقوانين الأساسية التي تشكل حدود سلطات الدولة، والحقوق المدنية للمواطن الإسرائيلي، تعتبر المحكمة العليا أعلى مراتب القضاء الإسرائيلي وأحكامها تسري على جميع سلطات الدولة ومؤسساتها.

تقيم إسرائيل علاقات دبلوماسية مع مائة وسبع وخمسين دولة من أصل مائة واثنتين وتسعين دولة بالعالم، لديها اثنتان وسبعون سفارة وثلاث عشرة قنصلية وأربع بعثات خاصة، تعتبر العلاقات الخاصة الإسرائيلية - الأمريكية أمرا ثابتا وعقيدة ثابتة في مخيلة صانعي القرار وراسمي سياسات الدولة، أيضًا العلاقات غير العادية مع كندا، واستراليا، والغرب في أوروبا بصفة عامة وبخاصة انجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وهولندا، تعتبر من أهم نطاقات عمل صانع القرار بإسرائيل، على الرغم من أن الناتج القومي الإجمالي لإسرائيل متواضع مقارنة بباقي دول العالم المتقدم، إلا أن قدراتها العسكرية والاستخباراتية المتفوقة، وامتلاكها

(١) إنجلترا أيضًا ليس لديها دستور.

ترسانة نووية هائلة، وتقدمها العلمي في الصناعات العسكرية وتكنولوجيات البرمجيات، وصناعة الأدوية وتكنولوجيا الفضاء، وعلوم الاقتصاد والكيمياء والفيزياء والرياضيات، وسيطرتها على أهم وسائل الإعلام المؤثرة العالمية؛ أهلتها لتكون دولة عظمى بلا جدال، ومن هذا المنطلق تحاول إسرائيل بسط نفوذها السياسي والاقتصادي وسيطرتها بالمناطق السبع الآتية:-

١- الدول العربية، وعلى رأسها مصر، والأردن، وقطر، والمغرب؛ حيث تحتفظ بعلاقات دبلوماسية معلنة، كما لديها اتصالات رسمية غير معلنة مع مسئولين من مختلف باقي الدول العربية وأهمها السعودية والإمارات وباقي دول الخليج.

٢- تركيا؛ بوصفها أحد دول «الناتو»، وبها أهم قواعد استخباراتها بأوروبا الشرقية، كما أن مصالحها مع تركيا تتطابق في محاصرة النفوذ الإيراني بسوريا ولبنان وفلسطين.

٣- دول إفريقيا؛ حيث الموارد الخام والأسواق وبخاصة شرق إفريقيا: كينيا، إثيوبيا، أوغندا، جنوب السودان.

٤- حوض البحر المتوسط: قبرص، اليونان، إيطاليا، إسبانيا.

٥- روسيا والصين (حيث تتصادم كثير من مصالحهما مع مصالح إسرائيل في مناطق النفوذ العالمية).

٦- الهند ولها مكانة خاصة لدى صانع القرار الإسرائيلي في محاصرة الأسلحة النووية الباكستانية ومنع وصولها إلى أي من الدول التي تتقاطع مصالحها معها، وأيضًا سوق مهم لتصريف صادراتها وبخاصة الأسلحة وتكنولوجيا الحاسبات.

٧- دول أمريكا اللاتينية (حيث تخوض اليوم معركة ضارية مع تركيا وإيران لاكتساب النفوذ والسيطرة السياسية والاقتصادية هناك).

لن أتوسع في الحديث عن سلطات دولة إسرائيل وقوانينها السياسية والاقتصادية وأحزابها ونقاباتها العمالية؛ فتلك أمور يمكن تلخيصها في كلمة واحدة أن إسرائيل دولة ديموقراطية حقيقية، يحكمها النظام البرلماني متعدد الأحزاب بشكل مماثل للديموقراطيات الغربية، لا تقل في كفاءة نظامها السياسي

والقوانين التي تحكم أنشطة ومؤسسات الدولة عن أي دولة غربية متقدمة، فالنظام القضائي الإسرائيلى نظام مستقل يتسم بالشفافية والمهنية، يعين القضاة والمنتسبين للمنظومة القضائية بإسرائيل لجنةٌ مكونة من تسعة مسئولين (رئيس المحكمة العليا + عضوين آخرين من نفس المحكمة + عضوين عن نقابة المحامين + وزير العدل + وزير آخر تعينه الحكومة + عضوين من الكنيسيت جرى العرف أن يكون أحدهما من المعارضة)، وسوف يلاحظ القارئ أن اللجنة تتسم بتغلب الأغلبية المهنية (القضاة والمحامون) على باقي الأعضاء بما فيهم وزير العدل، تنشر اللجنة مسودات ترشيحاتها قبل إقرارها بفترة كافية؛ لكي يتاح للمجتمع وأي جهات رسمية إبداء رأيها للجنة في كفاءة وأهلية المعينين، ينتخب المواطنون أعضاء الكنيست (البرلمان) الذي بدوره يشكل الحكومة ورئيسها والوزراء. منصب رئيس الدولة منصب شرفي لا يخرج عن قبول استقالة الحكومة، وحلف اليمين، واستقبال الوفود الرسمية والمراسم، وتمثيل الدولة بالخارج دون صلاحيات تنفيذية أو تشريعية ويختاره أيضًا الكنيست. كما أن نسبة الأمية المنخفضة جدًّا بين سكانها، وجودة مواطنيها وتعليمهم الجيد وقوة مشاركتهم في الحياة السياسية، واستقلال القضاء وعراقة الأحزاب وقوتها وحضورها بالشارع الإسرائيلي، وجميع ما سبق يجعلنا لا نتوقف كثيرًا ونحن نناقش القوة السياسية للدولة ومدى مساهمتها الإيجابية في دعم تقدم الدولة، ولكن سوف أركز باستفاضة على كيف طورت إسرائيل قوة نظامها السياسي ومواردها وعلاقاتها الدولية لخدمة باقي عناصر القوة الشاملة والعكس، وكيف تمارس دولة إسرائيل عملًا جماعيًّا مشتركًا بين مختلف أجهزتها لخدمة المصالح العليا للدولة، وكيف استفادت جيدًا من اليهود النابهين في مراكز الأبحاث والنظام المالي العالمي، وفي الهيكل السياسي للدول الرئيسية بالعالم في ضمان تفوقها وتدفق الموارد الطبيعية والمالية بالقدر الذي تحتاجه خطط البلاد بمختلف القطاعات، وكيف خدمت السياسة الاقتصاد والأمن، وكيف خدم الاقتصاد والأمن السياسة والعلاقات الإسرائيلية بمختلف دول العالم منذ قيامها وحتى اليوم، كما أرجو أن لا يندهش القارئ إذا لم أبدأ بعلاقات إسرائيل والغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة كما هو متوقع، بل ستكون أولى محطاتنا لدراسة القوة السياسية

الإسرائيلية هي علاقات دولة إسرائيل بدول إفريقيا، لما لها من أهمية استراتيجية فائقة لأمن مصر القومي، كما أن فهمنا الدقيق للتحركات الإسرائيلية للتغلغل في إفريقيا واكتساب الحظوة والنفوذ والسيطرة يقودنا إلى فهم أخطاء الحكومات المصرية المتعاقبة، وكيف باتت مصر اليوم وأمام النفوذ الإسرائيلي دولة بلا نفوذ تقريبًا أو قدرة على الفعل داخل أهم مجالات أمنها القومي، للدرجة التي أصبح أمنها المائي محل تهديد، وصارت مصالحها محاصرة، وبدت الدولة المصرية أمام أزمة سد النهضة الإثيوبي وكأنها دولة صغيرة ليس لها من عناصر القدرة شيء ذو قيمة، وكان يحزنني استخدام دبلوماسيينا عبارات إنشائية أمام المفاوضين الأثيوبيين دون أي كروت قوة حقيقية تجبر الآخرين على التفاوض الجِدِّى، يمكن للقارئ مقارنة أداء المفاوضين المصريين أمام الأثيوبيين والمفاوضين الإيرانين أمام الدول الست الكبرى.

○ العلاقات الإسرائيلية ودول القارة السمراء

علاقة إفريقيا بصانع القرار اليهودي لم تبدأ مع إعلان قيام إسرائيل ١٩٤٨ بل بدأت مبكرًا بمؤتمر «بازل» ١٩٠٣، حيث تداول اسم أوغندا كوطن قومي مقترح لليهود ورفض الاقتراح بذلك الوقت، وبعد قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ كانت الدولة تتحسس خطاها وترسم استراتيجيات عملها، وقد بدأت أولى الخطوات التنفيذية للاختراق الإسرائيلي لإفريقيا بعد مؤتمر «باندونج» عام ١٩٥٥، وتسارع بعد مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١، حيث عزمت القيادة الإسرائيلية على كسر عزلة إسرائيل والخروج من طوق المقاطعات، الذي فرضته الدول العربية بقيادة مصر والسعودية.

يقول أبا أيبان[1]: لم يكن يكفي اعتماد إسرائيل على أمريكا وفرنسا وبريطانيا في استخدام «حق الفيتو» بمجلس الأمن لضمان مصالح وأمن إسرائيل، بل كنا محتاجين إلى عشرات الدول الأخرى لكي تحول دون تدهور مركزنا

(١) أحد نبهاء إسرائيل وهو من وقف خلف اصدار قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وسفير إسرائيل بالولايات المتحدة من ١٩٤٨ حتىٰ ١٩٥٨ ونائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٥٢ ووزير خارجية إسرائيل من ١٩٦٦ وحتىٰ ١٩٧٤.

العالمي وعزلتنا بالجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت إفريقيا معينًا لا ينضب فريدًا من التأييد الدولي واكتساب النفوذ، لهذا كانت أسس العلاقات الإسرائيلية والقارة السوداء تنبع من الحقائق التالية:-

١- إفريقيا تمتلك ممرات حيوية مهمة للتجارة العالمية بالمحيط الهندي والأطلسي.

٢- تشكل إفريقيا ممرًا مهمًّا للتجارة الإسرائيلية، حيث يمر أمام السواحل الإفريقية ما يقدر بـ ٢٥% من تجارة إسرائيل، كما أن رحلات شركة «العال» الإسرائيلية إلى الشرق الأوسط تمر من سماء إريتريا ومن هناك تتجه شرقًا.

٣- إفريقيا مخرجًا مهمًّا لخروج إسرائيل من عزلتها الدولية، وهو أمر مهم وضروري لضمان أمنها الاقتصادي والعسكري.

٤- إفريقيا سوق مهم لتصريف المنتجات الإسرائيلية، وفي نفس الوقت مصدر مهم للمواد الخام والعمالة التي تحتاجهما إسرائيل،

٥- إفريقيا مصدر مهم للعديد من الاحتكارات الإسرائيلية العالمية لعدد من المنتجات، يأتي على رأسها الماس حيث تتركز أهم مناجمه في كل من الكونغو الديموقراطية، وسيراليون، وغانا، وإفريقيا الوسطى (صادرات إسرائيل من الماس ١٨ مليار دولار سنويًّا)، كما تتركز مناجم اليورانيوم في النيجر[١].

٦- تحتكر شركات إسرائيلية كبرى تجارة عصير الفاكهة في إثيوبيا، ومحصول البن في أوغندا، والسمسم والفول السوداني بالسودان، كما تخترق الشركات الإسرائيلية الزراعية الاقتصاد الإفريقي مثل شركة «أغريد أب» للتطوير الزراعي، وشركة الرا وموتورولا وكون وسوليل وفنادق إفريقيا.

---

(١) تحتكر إسرائيل ٨٠% من تجارة الماء الثقيل العالمية والاسم العلمي له «أكسيد الديوتريوم» وهو أحد نظائر الهيدروجين، الماء الثقيل جزء أساسي في أي دورة وقود نووي، حيث يستخدم في تبريد المفاعلات النووية وإبطاء سرعة النيترونات، وتنتج إيران أيضًا هذا المنتج الهام ولديها القدرة على تصديره.

٧- يمثل النفاذ إلى دول حوض النيل حلمًا استراتيجيًّا لضمان أمن إسرائيل المائي منذ إنشائها، وتسعى لتحقيقه بشتى الطرق وحتى اليوم عن طريق الحصول على حصة من الإيراد المائي لنهر النيل،

٨- محاصرة انتشار الإسلام، ومنع تقدمه بدول القارة السمراء؛ جزء من استراتيجية أشمل لمحاربة انتشار الإسلام بالعالم، لهذا يقول تسيفى مزال نائب المدير العام لشئون إفريقيا بالخارجية الإسرائيلية وسفير إسرائيل بمصر ١٩٩٦-٢٠٠١: (إن العالم صغير ومغلق، وما يحدث في مكان يؤثر في مكان آخر وخصوصًا إفريقيا التي تعتبر جارة لإسرائيل من الناحية الجغرافية، وإذا ما تفشى الإسلام هناك فإن إسرائيل ستتضرر كثيرًا أمنيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا). ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة الإسرائيلية ترعى جماعات تبشيرية يهودية أهمها «شهود يهوه» وتعتبر إفريقيا مجال عملها الرئيس.

منذ خمسينات القرن الماضي وحتى اليوم استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تؤسس علاقات قوية مع معظم دول القارة السمراء، وباتت إسرائيل تحظى اليوم بمصداقية كبيرة لدى تلك الدول في مجالات الاستخبارات والتدريب والتسليح، وتعمل عشرات من المؤسسات الأمنية الإسرائيلية الخاصة والمملوكة للدولة كمستشارين للقادة السياسيين والعسكريين والأمنيين الأفارقة وأيضًا موردي خدمات وأسلحة ومعدات إلى تلك الدول، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي «بن جوريون» في أحد بياناته أمام الكنيسيت الإسرائيلي في عام ١٩٦٠: (الصداقة الإفريقية الإسرائيلية تهدف في حدها الأول تحييد دول القارة عن الصراع العربي الإسرائيلي، وتتطلع في أحسن حالاتها وعند حدها الثاني إلى ضمان مساندة إفريقيا للمواقف الإسرائيلية ودعمها اقتصاديًّا وامنيًّا).

○ أهم المنظمات الإسرائيلية العاملة بإفريقيا

- وزارة الخارجية.
- اتحاد العمال الإسرائيلي «الهستدروت» وهو من أسس ونظم اتحادات عمال كينيا وغانا وإثيوبيا.

- وكالة التعاون الدولي الإسرائيلية «مشات» وقامت -مثلا- خلال الفترة من ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٩ بتدريب ما يقارب ٣٣٠٠ مسئول إفريقي داخل إسرائيل، و٥٠٠٠ مسئول خارجها،كما قامت بإرسال أكثر من ٢٠٠ خبير إلى أكثر من ٣٧ دولة في مجالات عديدة من أهمها الري والزراعة والتعاونيات وتخطيط المدن والتخطيط الاقتصادي والأمن.
- الموساد.
- مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية «تاعاس» المسئولة عن صادرات السلاح الإسرائيلي.
- مئات الشركات التي توظف مرتزقة لتقديم الخدمات الأمنية[١]، وتدريب أطقم الحراسات الرئاسية وأبرزها شركة «ليف دان» وشركة «الشبح الفضي».
- شركة «يولي باريلي» وشركة «أباك» وهما في الظاهر شركاتان فرنسيتان ولكنهما يتبعان جهاز المخابرات العامة الإسرائيلي الموساد، ومهمتهما اكتساب النفوذ السياسي والاقتصادي والأمني لخدمة مصالح دولة إسرائيل.
- عشرات الشركات الاقتصادية الإسرائيلية وأهمها شركة «أنكودا».

تتكامل جهود مؤسسات دولة إسرائيل في اختراق دول القارة السمراء، فبينما تنفق مئات الملايين من الدولارات على أعمال المخابرات لجمع المعلومات؛ واكتساب النفوذ والسيطرة والقوة، وشراء المؤيدين وسحق المعارضين، تحقق مئات الملايين من المكاسب المادية والسياسية والاقتصادية نتيجة إشعال الصراعات، حيث تدعم أنظمة الحكم الموالية لها، وفي نفس الوقت تدعم أنظمة المعارضة والميليشيات بالدول المناوئة لها، وفي مرات عديدة تدعم كليهما في آن واحد، وفي جميع الحالات يكون السلاح والتدريب والمعلومات الاستخباراتية لها ثمنًا غاليًا وتنعكس إيجابيًّا على الصناعات العسكرية الإسرائيلية والاقتصاد الإسرائيلي ككل، كما ترعى إسرائيل الشخصيات الإفريقية ذات النفوذ ببلادها، وتمهد لهم مستقبلهم السياسي بهدف أن يكون لهم دور فاعل في القرار السياسي ببلادهم، وبالتالي الحفاظ دائمًا على مصالحها

(١) حراسة زعماء القبائل وسياسيين بارزين ورجال أعمال.

وعلاقاتها ومن الثابت والمعروف أن دعم إسرائيل لقبيلة: «الدنكا» (٣ ملايين نسمة) بجنوب السودان مهدت الطريق نحو تقسيم السودان وإشعال حرب الجنوب، التي قادت إلى انفصال جنوب السودان عن شماله وقيام دولة جنوب السودان، أيضًا دعمت إسرائيل قومية «الأمهرا» الإثيوبية والتي تحكم إثيوبيا منذ الاستقلال وحتى اليوم، وسيأتي لاحقًا تفاصيل دعمها لحزب الأمة السوداني المؤيد لانفصال السودان عن مصر في خمسينات القرن الماضي.

بدأ التغلغل الإسرائيلي السياسي والاقتصادي بإفريقيا خلال فترة ما قبل استقلال معظم دول القارة السمراء، عن طريق زعماء اليهود الأعضاء في الأحزاب الاشتراكية بأوروبا وبخاصة فرنسا، فمثلًا في عام ١٩٦٠ اعترفت جميع الدول الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية وعددها ١٣ بإسرائيل بضغط من فرنسا، كما كانت إسرائيل دائمًا أول المعترفين بأي دولة إفريقية تعلن استقلالها، فترسل الوفود للتهنئة عارضة المساعدات الأمنية والعسكرية والاستخباراتية والاقتصادية، ثم ما تلبث أن ترسل عشرات الخبراء في جميع المجالات[١].

ولعل من أبرز نجاحات إسرائيل باستخدام هذا الأسلوب هو التجربة الغانية والكينية «جوموكينيتا» والليبيرية «وليام تويبمان»، وإمبراطور وسط إفريقيا «هيلاسلاسي» الذي كان يرى نفسه وشعبه من السلالة اليهودية، كما كان لإسرائيل علاقات فوق الممتازة بنظام الفصل العنصري بجنوب إفريقيا، كما يجدر الإشارة أن هذا الأسلوب قاد إلى أن تكون إسرائيل هي من قام بإنشاء سلاح الجو بـ«سيراليون» ودربت سلاح المظلات بالكونغو وأنشأت مدرسة لهذا الغرض في عام ١٩٦٥، وقامت بتدريب قوات الشرطة التنزانية، وقامت بتدريب قوات الجيش بسيراليون وأنشات المدرسة العسكرية بالعاصمة «فري تاون»، كما دعَّمَت ودربت قوات المعارضة في أنجولا «حركة يونيتا» التي كانت تسيطر على أهم مناجم الماس بالبلاد، كما أعادت هيكلة الجيش «الرواندي» وتسليحه وتدريبه، وقامت بالأمر نفسه مع الجيش «البورندي» وهذا كان سببًا في إشعال حرب شرسة في منطقة البحيرات العظمى عند منابع النيل، حيث أُغتيل أول رئيس «بوروندي»

(١) معظمهم يرتبط بشكل أو بآخر بالموساد.

منتخب ينحدر من قبيلة «الهوتو» ذات الأغلبية بعد أقل من مائة يوم من انتخابه وتنصيبه رئيسًا للبلاد في عام ١٩٩٣[١]، كما قامت بحماية العاصمة «الرواندية» «كيجالي» وعاصمة «بوروندي» «بوجمبورا» ضد هجمات قبيلة «الهوتو»، وبأمر من الموساد قامت الصناعات العسكرية الإسرائيلية بتسليح جميع أطراف الصراع بأسعار زهيدة بهدف ضمان حاجة زعماء منطقة البحيرات العظمى للمساعدات الإسرائيلية، ولولا تدخل الرئيس التنزاني «جاكايا كيكويتي» وإنهاء الصراع لاستمر أكثر من ذلك، حيث بدأ عام ١٩٩٣ وانتهى ٢٠٠٥.

مما سبق أعتقد أننا قمنا ببعض التنشيط لتهيئة القارئ على إدراك طريقة عمل دولة إسرائيل في القارة السمراء، وهو نموذج يتكرر أيضًا بجميع دول العالم مع تعديلات طفيفة في التكتيك، أما الأهداف فكانت دومًا واحدة ضمان المصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية لإسرائيل، والاستراتيجيات دائمًا ثابتة حيث تتكامل قوة إسرائيل العلمية والتصنيعية والإعلامية والاستخباراتية والمالية في تمهيد الطريق للوصول إلى تلك الأهداف، وفي عجالة سوف نستعرض للقارئ وسريعًا بعض الوقائع والمعلومات الإضافية، والتي تعمق لديه طريقة تفكير المسئولين الإسرائيليين وصناع القرار وتخطيطهم لاكتساب النفوذ وتحقيق مصالح دولتهم في إفريقيا، وستتكرر بنفس الاستراتيجيات والتكتيكيات في باقي مناطق العالم ذات الأهمية.

١- اليوم لدى إسرائيل علاقات دبلوماسية مع ٤٨ دولة من أصل ٥٤ تمثل جميع دول القارة السمراء، وهو ما يمثل تتويجًا للسياسات الواضحة والصبورة والعملية التي انتهجتها حكومات إسرائيل المتعاقبة.

٢- للموساد أكبر قاعدة استخباراتية بإفريقيا في «أديس أبابا» بإثيوبيا، يشرف من خلالها على جميع مكاتب عملياته بالقارة السمراء، كما يشرف على أنشطة دولته بجزيرة «دهلك» الأريتيرية، والتي تتجسس وتتصنت من خلال محطاتها فوق جبل «الأميبا» على كل من السعودية واليمن وباقي دول الخليج والسودان، كما تهيئ له موطئ قدم بالقرب من مضيق باب المندب

(١) حسب ما ورد بتقرير المخابرات الفرنسية عام ١٩٩٦، وتحملت إسرائيل مسئولية تلك الحرب.

الاستراتيجي تراقب من خلاله أنشطة إيران العسكرية وتمنع تهريب الأسلحة إلى حماس.

٣- السفارة والبعثة الدبلوماسية الإسرائيلية بأديس أبابا أكبر سفارة وبعثة لإسرائيل بالعالم بعد سفارتها بالولايات المتحدة.

٤- تمتلك إسرائيل عددًا من المراسي والأرصفة في مدينة «مصوع» الأريتيرية والقريبة من باب المندب.

٥- راعي السلام بين إثيوبيا وأريتريا، -ليست مصر ولا السعودية- بل كانت إسرائيل؛ حيث ترأس البروفسيور الإسرائيلي «أفريم إسحاق» وفد إسرائيل للمصالحة بين البلدين.

٦- إسرائيل تتعاون وبقوة مع الحكومة الإثيوبية في مجالات شتى: الأمن، التعليم، الاتصالات، الزراعة، الري، التخطيط الاقتصادي، التسليح، النقل الجوي، الصحة، التدريب. ومن أشهر صور التعاون الإسرائيلي الإثيوبي صفقة تطوير إسرائيل للطائرات ميج ٢١ بأسعار زهيدة مقابل موافقة إثيوبيا على هجرة يهود «الفلاشا إليها». كما تستغل إسرائيل علاقاتها مع زعماء القبائل بإثيوبيا في ضمان استقرار حكومة أديس أبابا وإنهاء أية خصومات قد تحدث بين حكومة المركز وبين زعماء تلك القبائل، يمثل تدريب أطقم الحراسات لأولئك الزعماء وتجهيزهم بوسائل الاتصالات والإعاقة والتشويش والأسلحة الشخصية أحد أهم مصادر اكتساب النفوذ والتأثير. كما لدى إثيوبيا شركات إسرائيلية متعددة تعمل في مجالات استصلاح مئات الآلاف من الهكتارات وتربية الماشية، وتساعد الحكومة الأثيوبية في مشروعات استصلاح الأراضي حول نهر شبيلي.

٧- العلاقات الإسرائيلية السودانية بدأت منذ ١٩٥٤ وقبل استقلال السودان عن مصر، حيث أوعزت المخابرات الإنجليزية MI6 إلى زعماء حزب الأمة السوداني «عبد الرحمن المهدي» المعروف بكرهه الشديد لبقاء السودان تحت الحكم المصري[١]، وابنه الأكبر «سيد المهدي» و«محمد أحمد عمر»

(١) نظم المهدي وأبناؤه وأعضاء حزبه محاولة الاعتداء علىٰ الرئيس المصري ذي الأصول السودانية =

نائب الأمين العام للحزب في ذلك الوقت و«عبد الله خليل» سكرتير الحزب بالاتصال بإسرائيل، وكان أساس الاتصال هو الأرضية المشتركة لهما وهو العداء لمصر[١].

٨- في عام ١٩٥٦ وقبل الانتخابات البرلمانية دعمت إسرائيل حزب الأمة السوداني بشراء محصول القطن المزروع بأراضي زعيم الحزب لمدة ثلاث سنوات مقدمًا، كما منحت الحزب قرضًا قدره ١٥٠ ألف جنيه إسترليني لمواجهة نفقات الانتخابات، وعمل الدعايات اللازمة لحصار باقي الأحزاب السودانية وخصوصًا التي لا ترى في مصر عدوًا وتؤمن بالتكامل الاقتصادي والسياسي لكلا البلدين، وبفضل الدعم الإسرائيلي فاز الحزب بالانتخابات وأصبح «عبد الله خليل» رئيسًا لوزراء السودان، ويومها عبر عن رغبته في دوام علاقات اقتصادية قوية مع دولة إسرائيل.

٩- بعد نجاح حزب الأمة في تسلم السلطة في السودان عام ١٩٥٦ كون رئيس وزراء إسرائيل بذلك الوقت «ديفيد بن جوريون» خلية عمل، ضمت بالإضافة له وزيرة الخارجية في ذلك الوقت «جولدامائير» و«تيدى كوليك» مدير مكتبه، ونخبة من خبراء الشئون العربية؛ بغرض دعم حزب الأمة السوداني، والاستفادة من تلك التجربة الناجحة في رسم استراتيجيةٍ أكبرٍ وأعمقٍ؛ لاختراق جميع الدول العربية؛ واستغلال الشقوق الموجودة فيه (مثل حزب الأمة السوداني). كما بحثت الخلية إشراك عواصم غربية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا وأمريكا، تخشى السياسات العشوائية التي ينتهجها «عبد الناصر»، وخصوصًا أن ضمان تنفيذ ونجاح تلك الاستراتيجية يحتاج إلى موارد مالية ضخمة ليست ضمن قدرات الحكومة الإسرائيلية بذلك الوقت، في نهاية الاجتماعات تبلور تقرير الاستراتيجية وخطط عملها

= محمد نجيب أثناء زيارته للسودان في أوائل مارس عام ١٩٥٤ بغرض العمل لأجل استمرار الوحدة بين قطبي وادي النيل مصر والسودان.

(١) انظر كتاب مراحل تطور العلاقات الإسرائيلية السودانية للدكتور محمود محارب أستاذ الدراسات الإسرائيلية بجامعة القدس. وانظر -أيضًا- الورقة البحثية لنفس الكاتب بعنوان التدخل الاسرائيلي بالسودان والتي نشرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومقره القدس في يونيو ٢٠١١.

ومصادر تمويلها أولي كل تنفيذها إلى أجهزة المخابرات وعلى رأسها الموساد، وبالفعل قررت «جولدا مائير» إنشاء بنك زراعي بالسودان لتمويل أنشطتها الاقتصادية، وأرسلت مدير عام وزارة الزراعة الإسرائيلية لمناقشة احتياجات الخرطوم المطلوبه فورًا، كما بدأت إجراءات قرض بقيمة ٣٠٠ ألف دولار بضمان «المهدي» شخصيًّا، وفي نفس الوقت قامت باستغلال النفوذ الإسرائيلي بباريس في إقناع الحكومة الفرنسية على منح قروض لحزب الأمة تتجاوز المليون جنيه استرليني، ومساعدات مباشرة إلى الحزب تشمل معدات طباعة أوفست وأدوات مكتبية لاستخدامات الحزب، كما قررت باريس شراء القطن السوداني مقدمًا، ووافقت على تأسيس سلاح الجو السوداني.

١٠- في أواخر السبعينات من القرن الماضي اجتمع الرئيس السوداني «جعفر نميري» في مزرعة رجل الأعمال السعودي «عدنان خاشقجى» بكينيا مع «أريل شارون» وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت بحضور رئيس المخابرات السودانية «عمر محمد الطيب» وقد أسفر الاجتماع على ما يلي:-

- غض الطرف عن تهجير اليهود «الفلاشا» من إثيوبيا إلى إسرائيل، مقابل مبلغ مالي للرئيس السوداني ورئيس مخابراته[١].
- السماح بتخزين السلاح الإسرائيلي في السودان لصالح جماعات معارضة لحكومة طهران.
- السماح لإسرائيل بتدريب تلك الجماعات داخل أراضي السودان.

وبالفعل بداية من عام ١٩٨٠ بدأت عملية تهجير يهود «الفلاشا» إلى إسرائيل مرورًا بالسودان إلى كينيا، ثم توقفت الهجرة وبدأت مرة أخرى ولكن بالتنسيق مع الـ CIA، التي أقنعت حكومة الخرطوم بتأجير قطعة أرض على ساحل البحر الأحمر استخدمها الموساد ووحدات «الكومندوز» الإسرائيلي لاحقًا لتهجير

(١) لم يثبت ذلك الادعاء، إلا أنه تكرر كثيرًا في الإعلام الإسرائيلي، والتقارير الدولية التي تتناول تلك الفترة.

باقي يهود «الفلاشا» من إثيوبيا حتى السودان ومنها مباشرة عن طريق البحر الأحمر إلى إسرائيل.

يقول رئيس وزراء إسرائيل «نتنياهو»: عندما يتقاتل أعداؤك عليك إضعافهما معًا.

وأهم من يظن أن تحالفه مع إسرائيل يضمن صداقتها وتحقيق المكاسب السياسية والاقتصادية، كما يجب أن نؤمن بالحقيقة التالية: أن ضخامة وحجم النفوذ الإسرائيلي الإقليمي والعالمي لم يكن ليتحقق لولا ضخامة وعظم أخطاء قادتنا وحكوماتنا المتراكمة، بل وخيانتهم وعمالتهم في أحيان كثيرة.

يمكننا أن نكتب أكثر مما سبق عن النفوذ الإسرائيلي بإفريقيا، وكيف تحقق النفوذ، والتأثير الحقيقي في واحدة من أهم قارات العالم، والفناء الخلفي للدولة المصرية. ولا يمكن أن ننسى أن الرئيس التونسي «الحبيب بورقيبة» أيد وبقوة غريبة قبول عضوية دولة إسرائيل في جامعة الدول العربية.

○ العلاقات الإسرائيلية والولايات المتحدة

لا جدال في حقيقة السيطرة والنفوذ الإسرائيلي اليهودي بالدول الغربية الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وكما بيَّنَّا سابقًا. هذا النفوذ لم يأتِ من فراغ أو دون اجتهاد بل هو نِتاج جهد وعمل، وتخطيط وصبر دؤوب، ضمن خطط واستراتيجيات وأهداف تضمن مصالح اليهود وحلم دولتهم إسرائيل، إن النفوذ الضخم لليهود في عالمنا اليوم لا يعود إلى طبيعة ذاتية متفوقة، أو جينية عنصرية ذكية، أو صفات خارقة كما يروج بعض المتعصبين منهم أو الجهلاء منَّا؛ ولكن طول ٢٥٠٠ عام سابقة فرض عليهم فشلهم وضعفهم بعضًا من المهارات أهلتهم لكي يكونوا قوة مالية واقتصادية وعسكرية وعلمية لا يستهان بها، وفيما يلي بعض ما ميزهم طيلة تاريخهم وأكسبهم اليوم تفوقًا:-

١- الخبرة التنظيمية الجيدة، والعمل السري الطويل الذي قد يمتد لبلوغ أهدافهم عشرات السنين.

٢- درجة التنسيق الكبيرة بينهم في جميع المجالات المختلفة كالإعلام والاقتصاد والسياسة.

٣- نجاحهم في ربط قضاياهم ومصالحهم بقضايا ومصالح الآخرين، وقد أثمرت تلك الجهود في طرح مفهوم المسيحية الصهيونية[١].

٤- يدير اليهود الأمريكيون أهم شبكات التليفزيون بأمريكا (CNN - NBC - ABC - CBC).

٥- يسيطر اليهود على أهم الصحف والمجلات الأمريكية وأكثرها أثرًا في توجيه الرأى العام، مثل: وول استريت جورنال، الديلى نيوز، نيويورك تايمز، الواشنطن بوست، التايم، النيوزويك.

٦- يسيطراليهود على صناعة السينما في هوليود، من خلال شركات مثل: فوكس، وبارامونت، ومتروجولدن، وينيفرسال.

٧- نتيجة التعليم الراقي والمتميز الذي يوفره اليهود لأبنائهم؛ إليكم الحقائق التالية، والتي تساعد على فهم أسس النفوذ الإسرائيلي واليهودي بالولايات المتحدة الأمريكية:-

٧- ١- يوجد ٥٧ يهوديًّا ضمن أهم ٥٠٠ شخصية قيادية بالدولة.

٧- ٢- يمثل اليهود ٢٥% من القيادات الإعلامية.

٧- ٣- يمثل اليهود ٤٥% ضمن أهم ٢٠٠ شخصية ثقافية وفكرية أمريكية.

٧- ٤- يمثل علماء الاجتماع اليهود ٤٥% من قائمة أشهر علماء الاجتماع بأمريكا وترتفع هذه النسبة إلى ٦٥% في علوم الإنسانيات.

٧- ٥- من ضمن أهم عشرين عالمًا ومفكرًا أمريكيا يوجد ١٥ يهوديًّا (دراسة البروفسير روبنشتاين).

٨- خلال الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية اليهود ٢.٥ مليون منهم ٢٠ ألفًا فقط صهيونيون، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية تدفقت موجات هجرة يهودية كثيفة إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها ملاذًا آمنا يوفر الحماية من موجات معاداة السامية، التي كانت سائدة في أوروبا بذلك الوقت (اليوم يبلغون حوالي ستة ملايين، أكثر

---

(١) يمثل المسيحيون البروتستانت ٧٠% تقريبًا من الشعب الأمريكي، ويؤمنون بعودة المسيح وبداية الألفية السعيدة، التي لكي تتحقق يجب إقامة هيكل سليمان فوق جبل صهيون وعودة ملك بني إسرائيل.

من نصفهم صهينيون إحصاء ٢٠١٤)، ومنذ خمسينات القرن الماضي تبلور ما يعرف باللوبي اليهودي الصهيوني بأمريكا، الذي أثمر تكوين لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية عام ١٩٥٣ «ايباك» وهدفها الأساسي ليس فقط التأثير على السياسات الأمريكية، بل السيطرة على عملية صنع القرار وتوجيهه لخدمة المصالح الإسرائيلية والصهيونية واليهودية بأمريكا والعالم.

٩- عدد اليهود بأمريكا يمثلون تقريبا ٢% من عدد السكان، يصوتون بانتظام بجميع الانتخابات الأمريكية بنسبة لا تقل عن ٩٥%، بينما باقي الأمريكيين يصوتون في أحسن (أصحاب) بنسبة ٥٢% أي أن اليهود يتضاعف وزنهم النسبي إلى عدد السكان من ٢% إلى ٤% تقريبًا عند الانتخابات الأمريكية، لاحظ أن عدد المسلمين الأمريكيين تقريبًا ٣% أي أكثر من عدد اليهود ولكن ليس لهم تأثير، ويعانون من انخفاض مستويات الدخل ومستويات التعليم والمهارات العملية والثقافة.

١٠- ٦٠% من ميزانيات مرشحي الرئاسة الأمريكية تأتي من ممولين يهود.

١١- في عام ١٩٨٠ أشار الكتاب السنوي لليهود الأمريكيين أن هناك ٣٤٢ منظمة مرتبطة بالصهيونية العالمية؛ تعمل مباشرة لصالح إسرائيل وتتنوع أنشطتها بين الأنشطة الثقافية، والفنية، والاجتماعية، والعلاقات العامة، والأنشطة الدينية.

١٢- يسيطر اليهود الأمريكيون على مجلس الأمن القومي الأمريكي NSC، وهو المسئول عن تقديم التقارير إلى الرئيس الأمريكي، والتي يتم بناءً عليها تقرير السياسات والاستراتيجيات الأمريكية الأمنية والسياسية والاقتصادية والعسكرية بالعالم، وهو يتكون من:

١- الرئيس الأمريكي.
٢- نائب الرئيس.
٣- مستشار الرئيس للأمن القومي.
٤- وزير الدفاع.
٥- وزير الخارجية.
٦- وزير الخزانة.
٧- وزير الزراعة.
٨- وزير التجارة.
٩- مدير الـ CIA.
١٠- وزير الأمن الداخلي.
١١- سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة.

أهم من شغل رئاسة مجلس الأمن القومي الأمريكي: (برنت سكوكروفت، برجنسكى، ماك جورج، هنرى كيسنجر، جورج بوش الأب، كونداليزا رايس).

وجميعهم بلا استثناء يرتبطون بصلات قوية باللوبي الإسرائيلي، وكانوا دائمًا مخلصين وملتزمين بحماية مصالح دولة إسرائيل، ويجدر الإشارة إلى تقرير مجلس الأمن القومي الأمريكي المرقم ٣-٦٥ بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٠، الذي وضع أساس ومبدأ حماية إسرائيل وضمان تفوقها العسكري والاقتصادي على جميع دول المنطقة ويعمل به حتى الآن، كما أننا سنتأكد من حجم سيطرة اليهود على مجلس الأمن القومي الأمريكي أنه في عهد «كلينتون» ١٩٩٣-٢٠٠١ حيث كانت «مادلين أول بريت» وزيرة الخارجية يهودية، ووزير الدفاع «وليام كوهين» يهوديًّا، ووزير الخزانة «روبرت روبن» يهوديًّا، ومدير المخابرات الأمريكية «جورج تانت» يهوديًّا، و«دان جليكمان» وزير الزراعة يهوديًّا، كان ٥ من أصل ١١ يمثلون أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي يهودًا مخلصين.

١٣- المحكمة العليا الأمريكية أعلى سلطة قضائية بالبلاد، ٧٥% من رؤسائها يهود، و٧٠% من أعضائها يهود يميلون إلى المسيحية الصهيونية، وتتكون من تسعة أعضاء يبقون في مناصبهم مدى الحياة، وهم من يفسرون القوانين الأمريكية ويراجعون إجراءات وقوانين الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات، ولهم سلطة إبطال القوانين التي لا تتفق مع الدستور الأمريكي، وهي طبقًا لتكوينها وسلطاتها سلطة سيادية مستقلة كاملة، تسري أحكامها على جميع مؤسسات الدولة.

١٤- **الكونجرس**: وهو أعلى سلطة تشريعية بالبلاد، ولليهود نفوذ واسع به عن طريق أعضاء الكونجرس وبخاصة اليمين المسيحي الموالين للصهيونية العالمية وإسرائيل، كما أن اليهود الأمريكيين يسيطرون على عشرات المراكز البحثية التي تقدم خدمات استشارية إلى أعضاء الكونجرس، وتقدم لهم التقارير والتحليلات في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية، التي بالتأكيد تصب في ضمان مصالح اليهود ودولة إسرائيل وتفوقها، وهنا يجب أن نتوقف طويلا أمام تصريح الزعيم الجمهوري والسياسي الأمريكي الكبير «بيوكانان»، حيث قال: إن الكونجرس أصبح كالضفة الغربية يحتله

الإسرائيليون. وللعلم الكونجرس الأمريكي ضمن صلاحياته وسلطاته الواسعة أن يعين كبار التنفيذيين بالدولة، وهو الأمر الذي يجعل الطموحين والنبهاء بالجهاز الإداري بالدولة الأمريكية لا يمكن أن يكونوا مناصبين للدولة اليهودية أو اليهود بصفة عامة العداء، فيستحيل تقلد أي منصب مرموق إلا بعد موافقة الكونجرس، أي بعد مباركة اليهود وتجنب معارضتهم.

١٥- مؤسسة الرئاسة الأمريكية التي تعلم جيدًا أهمية الآلة الإعلامية الصهيونية الهائلة وأثرها في توجيه الرأب العام الأمريكي، ولهذا لا يمكن أن نحدد مرشحًا للرئاسة الأمريكية ومنذ قيام إسرائيل يجرؤ على تحدي المصالح الإسرائيلية بالعالم أو تهديدها، كما أن جميع الرؤساء الأمريكيين وبلا استثناء يلتزمون بمبدأ حماية دولة إسرائيل وضمان تفوقها على جيرانها، الأمر الذي صار قاعدة ثابتة للسياسات الأمريكية منذ خمسينات القرن الماضي، ولا يجب أن ننسى ما نقل عن الرئيس الأمريكي «جورج بوش الابن» (٢٠٠١-٢٠٠٩) وهو يخشى من تكرار ما حدث مع والده الأب وخسارته للانتخابات الأمريكية عام ١٩٩٣، وفي بداية حملته لفترة رئاسية ثانية أنه يشعر بالضعف والخزي والانعزال وهو يخاصم قوة عملاقة مثل اللوبي الصهيوني الذي أسقط والده بالانتخابات.

مما سبق نستطيع فهم وإدراك سيطرة اليهود وبالتالي دولة إسرائيل على مفاصل الدولة (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، يساعدها في تحقيق ذلك سيطرت اليهود على الآلة الإعلامية بأمريكا والعالم، وأيضًا قوة رأس المال اليهودي وتحكمهم في أهم شركات البترول وصناعة السلاح بأمريكا، وكالعادة لا ينفق اليهود أموالهم هباءً أو بلا عائد فكل دولار أنفقوه في سبيل السيطرة على مراكز صنع القرار الأمريكي واكتساب النفوذ والحلفاء والمؤيدين بأركان الدولة عاد إليهم أضعافًا، ويكفي أن يعلم القارئ أن إجمالي المساعدات الأمريكية إلى دولة إسرائيل منذ العام ١٩٥٠ وحتى ٢٠١٥ بلغ ١٤١ مليار دولار منهم ٧٥ مليارًا مساعدات عسكرية. كما يمكن للقارئ أن يعلم ماذا يعني النفوذ الهائل بدولة مثل

أمريكا يعادل الناتج المحلي الإجمالي لها في ٢٠١٥ ١٦٠٠٠ مليار دولار[١]، بالتأكيد يعني هذا الكثير من النفوذ والسيطرة والثراء الفاحش.

وختامًا أحب أن أسرد للقارئ أحد الطرائف حدثت أثناء مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية في عام ١٩٩٧ والتي نتج عنها اتفاقية الخليل، كان أفراد الوفد الأمريكي الراعي للاتفاق يهودًا صهيونيين مخلصين (دنيس روس، هارون ميللر، مارتن انديك)، وعندما حان موعد الصلاة اليهودية قام الوفد الإسرائيلي ومعهم أعضاء الوفد الأمريكي لأداء الصلاة ولم يبقَ بالغرفة إلا «صائب عريقات» و«جميل الطريفى» أعضاء الوفد الفلسطيني.

النموذج السابق يتكرر متطابقًا في جميع دول العالم الغربي المتقدم، حيث يوظف اليهود إمكانياتهم العلمية والمالية والاستخباراتية والإعلامية نحو اختراق سلطات الدول، وتطويع وتوجيه سياساتها نحو ضمان تقدم إسرائيل وازدهارها وضمان حمايتها وتفوقها على جميع أعدائها ومنافسيها.

○ النفوذ اليهودي بروسيا

يشكل اليهود نسبة ٧ من الألف من عدد سكان (روسيا تقريبًا) مليون نسمة من أصل ١٤٥ مليون، ومع ذلك فنفوذهم ضخم وقوي في جميع مفاصل الدولة[٢].

يرجع النفوذ اليهودي في روسيا إلى بدايات الثورة الشيوعية، وهناك أدلة قوية على أن تمويل هذه الثورة عام ١٩١٧ جرى على أيدى أثرياء اليهود، وعندما تشكل المكتب السياسي الأول للثورة «البلشفية» كان من بين أعضائه السبعة أربعة من اليهود[٣]، أمَّا «لينين» زعيم الثورة «البلشفية» وزعيم الاتحاد السوفييتي ٨نوفمبر ١٩١٧، فكان يتفاخر بأن أصوله يهودية، حسب ما ورد ببحث للكاتب الأمريكي اليهودي «لويزفشر» الذي عاصر «لينين» والمنشور في عام ١٩٦٥، حيث

---

(١) الناتج المحلي للولايات المتحدة يساوي مجموع الناتج المحلي الإجمالي لكل من: اليابان، ألمانيا، إنجلترا، فرنسا، كندا، إيطاليا، روسيا.

(٢) لاحظ المفارقة عدد السكان المسلمين في روسيا تقريبًا ٢٠% من عدد السكان، أي حوالي ٢٩ مليون نسمة، أي أكثر من ٢٩ ضعف اليهود.

(٣) (ترونسكى، وكامينيف، سوكولنكوف، زينونيف).

ذكر أن اسم لينين اليهودي هو «زيدر بلوم». أيضًا ذكرت مجلة فرنسا القديمة في عام ١٩١٨ نفس التأكيدات، وما يؤكد ذلك أن في أول حكومة شيوعية كان هناك ١٧ وزيرًا يهوديًّا من أصل ٢٢ وزيرًا، وبعد إنشاء الحزب الشيوعي كان ٨٠% من القيادات العليا بالحزب من اليهود، وفي جميع الحالات، الثابت أن الثورة «البلشفية» كانت ردًا من اليهود الروس على اضهاد روسيا القيصرية لهم، كما أسس اليهود صحيفة «برافدا» أول صحيفة تتبع الحزب الشيوعي واسعة الانتشار بالاتحاد السوفييتي السابق، كما أنه من الثابت أنه بمؤتمر «يالطا» (١١ فبراير ١٩٤٥) قدم «روزفلت» الرئيس الأمريكي نفسه لـ «ستالين» على أنه صهيوني وحين سأله مستفسرًا هل هو صهيوني، رد: نعم.

وقد قام عملاء اليهود بالولايات المتحدة بتزويد السوفييت بأسرار القنبلة الذرية والمواد اللازمة لتصنيعها، مقابل دعم «ستالين» للمشروع الصهيوني لإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، حيث وقف الروس بقوة إلى جانب الأمريكان في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ودعموا قرارات تقسيم فلسطين، ولأهمية روسيا لدى إسرائيل كانت «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل فيما بعد (١٩٦٩-١٩٧٤) أول سفيرة لإسرائيل بالاتحاد السوفييتي وتم استقبالها بحفاوة من قبل المسئولين والتنفيذيين الروس.

كما هو الحال بالولايات المتحدة كان اليهود الروس في مقدمة المثقفين والعلماء، ومتخذي القرار حيث شكل اليهود الروس ٥% من حملة دكتوراه العلوم، و١٤% من عدد الكتاب والأدباء الروس و٢٣٪ من عدد الموسيقيين و١٥% من عدد القيادات السياسية بالحزب الشيوعي.

وكالعادة كل دولار أنفقه أثرياء اليهود يجب أن يعود إليهم أضعافًا مضاعفة، وهو ما حدث مع أنه يرى النظام الشيوعي حيث سيطر اليهود على مراكز صنع القرار الروسي في عهد «بوريس يلتسن» وبرزت مجموعة موست بانك التي امتلكها الملياردير الروسي «فلاديمير غوسينسكي» رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية الروسية، وصاحب أضخم إمبراطورية إعلامية غير رسمية بروسيا (NTV)، وصارت مجموعة «موست» هي المسيطرة على الرئيس الروسي وعائلته للدرجة التي أوصلت «بوريس بيروزفسكي» اليهودي الديانة، الإسرائيلي الجنسية

نائب سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي أن يكون رجل روسيا الأول بلا منافس.

في تقرير للبرلمان الروسي عام ١٩٩٩ ذكر أن خسائر برنامج الخصخصة الذي أداره اليهود في فترة «ياتسن» بلغت ٣٠٠٠ مليار دولار، ذهبت معظمها إلى أثرياء اليهود وهو رقم ضخم يساوي تقريبًا مجموع ميزانيات جميع دول أوروبا في ذلك الوقت، في عام ٢٠٠٢ وبعد عامين من تولي الرئيس «فلاديمير بوتين» الحكم نشرت صحيفة كوميرسانت أشهر الصحف الروسية بديسمبر ٢٠٠٢ دراسة أوضحت فيها كيف يقاوم اليهود الروس وأثرياؤهم الخطط السياسية والاقتصادية للرئيس «بوتين» وأوردت الإحصاءات التالية التي توضح مدى نفوذهم الاقتصادي، الذي ينعكس وبشدة في نفوذهم السياسي:-

٧٠% من قطاع النفط تسيطر عليه شركات يهودية.
١٠٠% من قطاع الأسمدة الزراعية أملاك يهودية.
٨٠% من قطاع السيارات تسيطر عليه شركات يهودية.
٨٥% من قطاع الأخشاب يسيطر على اليهود.
٦٠% من قطاع الطيران المدني يسيطر عليه شركات يهودية.
٧٠% من قطاع البنوك والمصارف يسيطر عليه اليهود.
٨٠% من قطاع التأمين يسيطر عليه اليهود.
٨٥% من شركات الإعلام يسيطر عليه اليهود

لم يجد «بوتين» سبيلًا لإصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاده إلا تصحيح فترة الحكم اليهودي لروسيا خلال فترة حكم «يلتسين»، وبالفعل بدأ في ترسيخ الروح القومية الروسية وإعادة إحيائها ثم مطاردة أثرياء اليهود الذين كونوا ثروات هائلة نتيجة الفساد السياسي خلال عهد سلفه، وهو الأمر الذي قلص قليلًا وروض النفوذ اليهودي بروسيا، كما أن الهجرات الواسعة التي تمت لليهود بعد سقوط الاتحاد السوفييتي إلى إسرائيل قلص من نسبتهم إلى عدد السكان، إلا أنه لا يزال للنفوذ اليهودي بروسيا أثر كبير لا يستهان به، وقد نجح مرات عديدة في عرقلة صفقات تسليح ضخمة كان يفترض أن تذهب إلى

دول عربية من بينها مصر والسعودية، وأيضًا التأثير على روسيا لتأجيل أو إلغاء صفقة الصواريخ إس ٣٠٠ التي تم الاتفاق على تصديرها إلى إيران وتركيا[١].

○ النفوذ الإسرائيلي واليهودي العالمي

في ختام حديثنا عن القوة السياسية الإسرائيلية، والتي تستمد قوتها وزخمها ونفوذها من تكامل كافة إمكانيات الدولة مع كافة إمكانيات اليهود أينما كانوا بالعالم - أحب أن أسرد للقارئ بعضًا من الحقائق التي تعطيه عُمقًا يضاف إلى ما ورد سابقًا، وتجعله مدركًا كم بذل اليهود من جهد وعمل لنسج شبكات معقدة من المصالح الاقتصادية والأمنية والسياسية مع أهم حكومات العالم؛ بغرض ضمان التفوق والحماية للدولة اليهودية بصفة خاصة واليهود في جميع أنحاء العالم بصفة عامة.

١- هناك تحالف قوي بين العائلات اليهودية الاقتصادية الكبرى (روتشيلد، روكفلر، مورجان)[٢]، لن تجد شركة كبرى عالمية أو بنكًا أو مصرفًا إلا وفي نهاية الأمر ستجد أحد هذه العائلات يتحكم فيها ويملكها كلها أو حصة حاكمة فيها. أهم شركات الطاقة[٣] العالمية، والبنوك والمصارف، وشركات التأمين، وشركات تصنيع السلاح، وشركات النقل واللوجستيك، والشركات التي تعمل في القطاعات الحيوية للدول مثل شركات الأدوية والأغذية والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والصناعات الثقيلة، وأهم مناجم المواد الأولية والذهب واليورانيوم بالعالم، وأهم شركات التكنولوجيا المتقدمة والتشكيلات الإعلامية الكبرى، و٣٠% من مصادر

---

(١) خلال العام الحالي ٢٠١٧ وبصعوبة استطاعت تركيا إنفاذ صفقتها للحصول على أنظمة الدفاع الجوي إس ٤٠٠ بعد تفاهمات استراتيجية مفاجأة مع روسيا.

(٢) عائلة «روتشيلد» اسم العائلة يعني الدرع الأحمر، تلك الأسرة ذات الأصول الألمانية، تبلغ ثروتها حسب ما هو متاح من معلومات ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي لعام ٢٠١٥ ٣١ ضعفًا أي تقريبًا ٥٠٠ ألف مليار دولار، هم من كانوا وراء ربط أسعار البترول بالدولار الأمريكي، وهم من قرروا إلغاء ربط الدولار الأمريكي بغطاء الذهب، وتحويل العملة العالمية الأولى إلى عملة ورقية يتحكمون في مطبعتها.

(٣) النفط والغاز جزء منها.

المياه العذبة بالعالم، جميعها ستجدها تؤول في نهاية الأمر إلى أي من تلك العائلات وتحت سيطرتها.

٢- وكالة رويتر للأنباء، أهم وكالات الأنباء العالمية يملكها اليهودي «بول رويتر».

٣- «بن شالوم برنانكي» يهودي الديانة، أمريكي الجنسية، تلميذ البروفسير اليهودي «ستانلي فيشر» محافظ البنك المركزي الإسرائيلي، ورئيس مجلس إدارة بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (٢٠٠٦-٢٠١٣)، صاحب نظرية دعم البنوك (اليهودية طبعًا) خلال الأزمة العالمية ٢٠٠٨ والمعروفة بنظرية التيسير الكمي والتي مولت البنوك الأمريكية (اليهودية) بـ ٢٧٥٠ مليار دولار خلال الفترة ٢٠٠٨-٢٠١٢ على ثلاث دفعات QE -1 QE -2 QE -3، وبعد ما كان من الخيال أن يتبنى بنكًا مركزيًّا كبيرًا سياسات تقوم على طبع النقود دون إنتاج أو قيمة حقيقية قبل ٢٠٠٨ تحولت تلك الخيالات إلى واقع وسنة بدأها بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، وتبعته باقي البنوك المركزية العالمية الكبرى الأخرى، وبعد أن كانت تلك السياسات تتبعها الدول المتخلفة والصغيرة، والتي يطلق عليها جمهوريات الموز، أصبحت تلك السياسات ولأجل إنقاذ المصارف والبنوك اليهودية سياسة عالمية يتزعمها أهم وأكبر بنك مركزي بالعالم وحتى اليوم.

٤- مجموعة «جولدمان سيكس» من أهم المجموعة المالية بأمريكا والعالم تقدم خدماتها إلى أهم حكومات وأثرياء العالم يبلغ دخلها السنوي ١٠٠ مليار دولار، وحجم أرباحها ٢٠ مليارًا (٥ أضعاف دخل قناة السويس) يرأس مجلس إدارتها اليهودي «لويد بلانكفين».

٥- «برنارد مادوف» اليهودي ابن إسرائيل البار، وفتى «وول استريت» المدلل ورئيس مؤشر ناسداك أهم سوق مالي لشركات التكنولوجيا، وأكبر المتبرعين لدولة إسرائيل واللوبي اليهودي الأمريكي هو المتسبب فيما يعرف بفضيحة «مادوف»، حيث خسرت الشركات العالمية المتعاملة مع مؤسسته ما يقدر بـ ٥٠ مليار دولار يقال إنها ذهبت مباشرة لدعم دولة إسرائيل.

٦- «لونيل روتشيلد» أستاذ حاييم ويزمان أول رئيس لإسرائيل ورئيس الطائفة اليهودية بإنجلترا مول إنشاء مبنى الكنيست الإسرائيلي بالقدس.

٧- «أدموند روتشيلد» الجد والحفيد كلاهما له نفس الاسم، ورئيسا فرع العائلة في فرنسا وهما من موَّلا لهجرة اليهود إلى فلسطين قبل إعلان الدولة، وبعدها قدما مساعدات مالية ضخمة في سبيل بناء الدولة بعد قرار التقسيم.

٨- جون بارون دى روتشيلد (صاحب عبارة نحن نحكم العالم).

٩- السير ايفيلين دى روتشيلد (السياسي الوحيد بأمريكا صاحب العضوية في كلا الحزبين الديموقراطي والجمهوري وصاحب مقولة من يقول لي ممنوع).

١٠- ديفيد روكفلر (صاحب عبارة ليس من الحكمة أن ترفض عرضًا من عروض العائلة).

١١- «ناثان واربورغ» مؤسس أحد العائلات اليهودية الرأسمالية الكبيرة، وأسهم مع عائلة «لروكفلر» في إنشاء بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، وشريك للعائلة في استثمارات عديدة.

١٢- «هنري كيسنجر» وزير خارجية أمريكا (١٩٧٣-١٩٧٧) يهودي الديانة صهيوني متعصب عمل مستشارًا للأمن القومي للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون ومازال مستشارًا لجميع القادة الأمريكيين حتى اليوم.

١٣- «بول فولكر» رئيس بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي (١٩٧٩-١٩٨٧) يهودي أمريكي هو من اختار أوباما لرئاسة أمريكا، وأقنع الحزب الديموقراطي بترشيحه، عمل مستشارًا للرئيس الأمريكي للشئون الاقتصادية ورئيس مجلس الخبراء الاقتصاديين بالبيت الأبيض ٢٠٠٩-٢٠١٣.

١٤- لارى سامرز، يهودي أمريكي صديق وشريك بول فولكر وخلفه في رئاسة مجلس الخبراء الاقتصاديين بالبيت الأبيض، والمسئول عن تقرير السياسات الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي العالم.

١٥- جانيت يلين، رئيسة بنك الاحتياط الفيدرالي الحالية (٢٠١٤ - حتى الآن) يهودية أمريكية.

١٦- تشرشل، ولويد جورج، رئيسا وزراء إنجلترا السابقين، من أكثر زعماء الصهيونية العالمية إخلاصًا وولاء، يضاف إليهم وزير الخارجية الإنجليزي «بلفور» الذي أعطى وعدًا لعائلة «روتشيلد» بإنشاء وطن قومي لليهود؛ مقابل إنقاذ العائلة للاقتصاد الإنجليزي الذي كان على وشك الانهيار بالحرب العالمية الأولى.

١٧- عائلة ماردوخ اليهودية تمتلك في بريطانيا أهم الصحف والمجلات كالتايمز، والصن داى، ونيوزاوف ذا، ورلد وسيتي مجازين، والديلي تلغراف.

١٨- يمتلك اليهود ٢٨٠ دارًا للسينما في بريطانيا وشركة ATV أهم شركات الإنتاج التليفزيوني هناك، ويمتلكون المسرح الملكي أعرق مسارح لندن ودورى لين وفيكتوريا بالاس.

ختامًا، علينا أن نعود وكلما تملكنا اليأس أو التشتت أو فقدنا البوصلة والاتجاه إلى كتابنا، كتاب الله ﷻ ففيه من كل شيء حكمة وتفصيلًا، فما فرطنا في الكتاب من شيء. قوة إسرائيل واليهود ترجع إلى ضعفنا وتخلفنا وضعفنا وتخلفنا يعود إلى تخلف وضعف قادتنا، نحن أمة لا تنقصنا الأهداف ولا الرؤية ولا القيم الأخلاقية الرفيعة ولا الموارد البشرية أو المادية ولا ينقصنا العقول، بل ينقصنا الإدارة وينقصنا المفكرون والاستراتيجيون والسياسيون أن يكونوا في مراكز صنع القرار، لأننا افتقدناهم على مدار عقود تمتد لأكثر من ستين سنة منذ الاستقلال، أرجو من القارئ وكأنه يمارس نوعًا من الرياضة الذهنية أن يجاوب على السؤال البسيط التالي: هل حكمنا يومًا وقادنا أفاضلنا وأكثرنا نباهة وحكمة وعلم، وقبل كل هذا أكثرنا صدقًا وأمانة؟

تأملوا قول الله ﷻ عن اليهود.

١- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

فَلَهَآ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧].

٢- ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

٣- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

٤- ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

٥- ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

٦- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

٧- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

هم ليسوا شعب الله المختار كما يحلو لبعضهم أن يقول، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

هم يخطئون ويصيبون، الهوة العلمية والاقتصادية والسياسية واسعة بين إسرائيل وجميع الدول العربية ومصر منهم، القدرات العسكرية التقليدية والاستراتيجية لصالحها ولكن هل نستسلم؟ الإجابة الحاسمة القاطعة لا. ولكن المدخل الصحيح لتضييق الفجوة بل والتفوق هو استيعاب الواقع وفهمه الدقيق، والتخطيط السليم مع دراسة أخطاء الماضي وانتقاء أفضل وأنزه العناصر الوطنية القادرة على إدارة أحلامنا في التغيير في أقل وقت وتعظيم الموارد المتاحة؛

ولأجل هذا قمت بتلك الدراسة لأني مؤمن أن مصر أعظم حضارات العالم قديمًا وحديثا قادرة وشعبها الفريد على تحقيق التفوق والريادة والانتصار على مخططات الإضعاف وتبديد الموارد وتشتيت التركيز والحيود عن الأهداف المهمة والكبرى، نحن دولة كبرى وليس كما يدعي عكس ذلك البعض، مواردنا البشرية والطبيعية وموقعنا يؤهلنا لذلك، لسنا دولة فقيرة الموارد بل نحن دولة فقيرة المواهب بسدة الحكم، لسنا شعبًا متخلفًا جاهلًا مريضًا، بل نحن شعب متفرد نبيه، غاية في الانضباط والجلد والصبر، تغيير واقعنا لا يحتاج لأكثر من ٣٦ شهرًا كفيلة بتغيير الحياة فوق أرض مصر.

القوة الاجتماعية لدولة إسرائيل

○ الأمن الداخلي

بينما ترتع المنظمات الإرهابية بالمنطقة والعالم وتعيث في الأرض فسادًا شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا؛ تقف إسرائيل وسط الدول القليلة على مستوى العالم التي لم تتضرر كثيرًا من جراء حرب الإرهاب العالمية الدائرة الآن[١]، بالتأكيد يقف خلف هذا الإنجاز الكبير جهدًا وعملًا جماعيًّا رائعًا ومحترفًا يجمع كل الهيئات المعنية بالأمن الداخلي الإسرائيلي، وتأتي وزارة الأمن الداخلي وجهاز «الشاباك» (الاستخبارات الداخلية) على رأس تلك الهيئات وتتبع مباشرة رئيس الحكومة،

حسب ما ورد بموقع وزارة الأمن الداخلي، فإن الوزارة تعمل من خلال رؤية واضحة تقوم على إدخال تحسن كبير في الشعور بالأمن والأمان الشخصي والمجتمعي لجميع مواطن الدولة، وخلق مجتمع يحترم القانون، ويمقت العنف والبلطجة، وبهذا تتاح الفرصة أمام مواطني الدولة في العيش بسلام ورخاء وازدهار، من خلال هذه الرؤية تعتبر وزارة الأمن الداخلي مسئولة أمام الشعب والحكومة عن تطبيق القانون والتعامل مع ظاهرة الجريمة بشكل عام والجريمة المنظمة بشكل خاص، كما تعتبر مسئولة عن حماية المجتمع من الهجمات

(١) إيران وتركيا أيضًا كذلك.

الإرهابية بشكل صارم، وإدارة السجون وتأهيل السجناء ومراقبة أحوالهم الصحية والاجتماعية وحماية الشهود ضمن برنامج مقرر لمكافحة الفساد والجريمة المنظمة ومنع العنف والبلطجة ومكافحة التهريب والمخدرات والكحول، تجربة الدولة اليهودية في محاربة الإرهاب وإقرار القانون وحماية الدولة من استغلال الإرهابيين للثغرات الأمنية جديرة بالاهتمام والدراسة والتعلم، الإجراءات الاحترازية التي تنفذها الكمائن الإسرائيلية وتجهيزات إفرادها وتدريبهم الفعال تجعلنا ندرك أن النجاح لا يأتي من فراغ، كما أن هناك جهدًا جبارًا لأحكام السيطرة على المنافذ الحدودية والمطارات والموانئ كما أن عناصر الاستخبارات تنتشر بالداخل والخارج لإحباط أي مصادر تهديد محتملة ووأد أي عمليات إرهابية يخطط لها، بينما هناك تصريح دائم لتصفية أي عنصر أينما وجد قد يهدد أمن الدولة ومواطنيها، جميعنا يتذكر العمليات التي تقوم بها الطائرات الإسرائيلية بدون طيار لتصفية عنصر فلسطيني يكاد يكون غير معروف حتى في قريته، ولكن المعلومات الاستخبارية تذكر أنه فرد نشط في تنظيم يخطط لاستهداف أمن الدولة أو عقل مهم في منظومة القيادة لتنظيم يناصبها العداء، حدث مثل هذا أيضًا يوم اغتيال الرجل الثاني بمنظمة التحرير الفلسطينية بتونس أبو جهاد «خليل الوزير» وكيف تخلصت إسرائيل من الزعيم الفلسطيني ورمز المقاومة «ياسر عرفات» ومن قبله الرنتيس والشيخ العظيم «أحمد ياسين» مؤسس حركة المقاومة حماس، و«أبو نضال» مؤسس مجلس فتح الثوري الذي أغتيل في بغداد، كما أننا نتذكر كيف اغتالت إسرائيل «محمود المبحوح» مسئول مشتريات السلاح لكتائب عز الدين القسام الفلسطينية في الإمارات، وكيف قامت إسرائيل بتسميم «خالد مشعل» رئيس المكتب السياسي لمنظمة حماس، ولولا تدخل الملك «حسين» ملك الأردن الراحل واستخدام نفوذه لدى إسرائيل لكان مات شهيدًا، وعماد مغنية قائد عمليات حزب الله اللبناني خلال حرب لبنان ٢٠٠٦، أيضًا لعلنا نتذكر أيضًا كيف هاجمت إسرائيل قوافل إمداد حماس بالسلاح التي كانت تعبر بمحازات ساحل البحر الاحمر داخل بالسودان، وهاجم سلاح الجو الإسرائيلي مصنع اليرموك جنوب العاصمة السودانية الخرطوم، وكيف قصفت إسرائيل المفاعل النووي شمال شرق سوريا وقبله المفاعل العراقى ببغداد، وكيف نشطت أجهزة

المخابرات الإسرائيلية بالعراق شمالًا وجنوبًا بعد سقوط «صدام» متحوطة ومتوقعة لفراغ أمني كبير يمثل بيئة منطقية مناسبة لقواعد إرهابية، قد تمثل تهديدًا مستقبليًّا لأمنها ولتكون بالقرب من عدوها الأكبر إيران، كيف نشطت المخابرات الإسرائيلية بباكستان وأفغانستان لمراقبة المنظمات الجهادية هناك، وكيف تتعاون الهند وإسرائيل في جمع المعلومات هناك وتحليلها، وغيرها من العمليات التي تؤكد أن القادة الأمنيين الإسرائيليين يقظين ويعملون بجد وإخلاص لحماية بلادهم من مخاطر أعدائها دون أن تتأثر الحقوق الأساسية للمواطنين، أو أن تكون بلادهم طاردة للاستثمارات الخارجية أو غير مشجعة للاستثمارات الداخلية، نحن هنا لا نناقش شرعية الجهاد ولا نؤيد أيًّا من تلك العمليات أو شرعية الأعمال الإسرائيلية، أو عنصريتها ولا ما يعانيه إخوتنا الفلسطينين من احتلال واعتقالات ومداهمات ومصادرات للأراضي واستيطان غير قانوني أو مشروع وحصار اقتصادي وغيره بل نسرد ونجمع الوقائع لكي نستوعب طريقة عمل منظومة الأمن الإسرائيلية وأسس عملها، ومصادر قوتها وأساليبها وخطط عملها التي تؤكد إلتزامًا كاملًا بتحصين الأمن القومي وحماية الأمن الشخصي للمواطنين، والعمل الفعال لترسيخ سلطة القانون ومحاربة الإرهاب بلا هوادة، نظرة تحليلية على تصميم نقاط تفتيش الأفراد والسيارات الثابته والمتحركة الإسرائيلية، وطرق تأمين أفراد الأمن ومستوى تجهيزاتهم وتسليحهم وتدريبهم، تجعلنا ندرك حجم الجهد والعمل الذي يتم داخل منظومة الأمن الإسرائيلية[١].

(١) من ناحية أخرىٰ الجهات الأمنية المصرية وتحت لافتة الحرب علىٰ الإرهاب تسلك مسلكًا يضر وبشدة أنشطة الدولة الاقتصادية ويضرب السياحة في الصميم، كما يخلق حالة من عدم الرضا بين نسبة كبيرة من أهل المناطق محل الصراع. قانون الطوارئ والممارسات الموثقة والتي تتداولها التقارير الدولية لا تشجع أبدًا علىٰ تدفق الاستثمارات الأجنبية والسياحة الضرورية لمعدلات النمو المطلوبة لتمويل باقي عناصر قدرتنا الشاملة كما تسئ إلىٰ صورة مصر وسمعتها وسمعة حكومتها، وكأنه لا يوجد أساليب واستراتيجيات أمنية أخرىٰ فعالة غير أساليب وسياسات الستينيات والسبعينيات البالية التي ثبت كارثيتها.

صورة لأحد نقاط التفتيش الإسرائيلية أمام بيت المقدس

○ الرعاية الصحية

في عام ٢٠١٠ وأثناء مناقشات الكونجرس الأمريكي لمشروع الرئيس باراك أوباما بشأن النظام القومي للتأمين الصحي على عموم الأمريكيين زار إسرائيل وفدًا مكونًا من الأطباء الأمريكيين ومحللي السياسات الصحية العامة وخبراء التأمين الصحي، وصدر عن الوفد وبعد انتهاء الزيارة وثيقة معنونة (إسرائيل تفعلها بشكل سليم) أثنت فيه اللجنة على الخدمات الصحية التي توفرها الدولة للمواطنين الإسرائيليين، وحداثة نظام التأمين الصحي الشامل ودقة وانتظام عمله ومرونته وانضباطه، وأوصت بدراسته كأحد النماذج الناجحة، والتي يمكن الاستعانة بها عند تطبيق نظام الرعاية الصحية في أمريكا، وكان من الملاحظات المهمة للوثيقة نجاح نظام التأمين الصحي الإسرائيلي في تقديم رعاية صحية متميزة بتكلفة أقل من نظيرتها في أمريكا رغم ارتفاع متوسط العمر المتوقع للإسرائيليين ٧٩.٧ أكثر منه في الولايات المتحدة، كما تبلغ نسبة الوفيات الناتجة عن أمراض الأوعية الدموية والأطفال الرضع أدنى بشكل ملحوظ عن نظيرتها بأمريكا.

تلك كانت مقدمة لكي (يتهيأ) القارئ لمستوى تقدم الرعاية الطبية التي تقدم للمواطنيين الإسرائيليين،

يوجد في إسرائيل مركز طبي عالمي هو من أهم عشرة أماكن طبية علاجية بالعالم، اسمه مركز «سوراسكي» وهو يقدم أفضل مستويات الخدمة الطبية بالعالم في مجالات علاج الأورام، وجراحات العظام، وجراحات وأمراض الجهاز الهضمي، وعلاج العقم لدى الرجال وإجراء عمليات الإخصاب خارج الرحم (التلقيح الصناعي).

وتجذب السياحة العلاجية المتميزة بإسرائيل مئات الآلاف من السياح الأثرياء بالعالم، كما تجذب المؤسسات الطبية آلاف الطلبة الراغبين في تلقي مستويات متقدمة من العلم الطبي ونظم إدارة المستشفيات من جميع أنحاء العالم.

○ الهستدروت

صورة للمقر الرئيسي للاتحاد العام لنقابات عمال إسرائيل (الهستدروت)

إسرائيل دولة عصرية أسسها الأباء الأوائل على غرار أنظمة الدول الغربية المتقدمة، كان لاستيعابهم العميق والتفصيلي لأساليب حكم الدول وإدارتها الرشيدة أثره الإيجابي في نهضة الدولة واستمرار تقدمها، منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة كان حكام إسرائيل وزعمائها مدركين ومؤمنين أن وجود معارضة

سياسية قوية وأحزاب محترفة ضمانة لتصويب سياسات الحكومة، كما أن وجود نقابات مهنية مستقلة ونقابات عمالية محترفة وقوية تمثل ضرورة لتصويب القرارات الحكومية وتعديلها، فيما يصب في مصلحة الدولة والمواطنين كا يضمن أداء المهن والأعمال بدرجات محترفة وعلى أسس علمية الأمر الذي يخدم السياسة العامة للدولة وأهدافها العليا، لهذا كان من أهم أركان الدولة بإسرائيل الاتحادات العمالية والنقابية أقدم وأقوى الاتحادات العمالية بالعالم (الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيلية، الهستدروت)، لم تتعمد الحكومات الإسرائيلية السيطرة على «الهستدروت» وتطويعه وتعيين قياداته وتسيير أموره من داخل مقرات أمن الدولة، كما فعلت الجارة مصر في عهد «جمال عبد الناصر» تحت شعار أمن الدولة أو الأمن القومي، بل كانت معينًا وداعمًا لوجود اتحاد عمالي قوي ومحترف منتخب، كضمانة لأداء متوازن بين العمال وأصحاب الأعمال سواء العامة أو الخاصة وأن يكون مشاركًا محترفًا وفعالًا في كل القرارات والقوانين التي تصدرها الحكومات الإسرئيلية وتمس حقوق العمال على مستوى الدولة، تأسس «الهستدروت» عام ١٩٢٠ وكان مقره في «حيفا» أما اليوم فيحتل مبنى ضخمًا بوسط تل أبيب. يحلو لبعض المنتقدين للدور الحقيقي والقوي والفعال للهستدروت في رسم السياسات الحكومية أن يصفه بأنه دولة داخل الدولة وتلك حقيقة، حيث يسيطر الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيلية على ٦٠% من الإنتاج الزراعي بالدولة، و٥٠% من الصناعات الثقيلة، و٤٥% من قطاع البناء، و٣٩% من قطاع النقل، حسب تقديرات الخبرات يتحكم الاتحاد في ٢٥% من إجمالي الناتج القومي الإجمالي للدولة ٢٠١٤، يشارك الاتحاد في أحيان كثيرة في رأس المال وفي إدارة المشروعات بالداخل والخارج، سواء مشروعات عامة أو خاصة، وله علاقات متميزة وخاصة مع اتحادات العمال بإفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا وبالطبع أوروبا وأمريكا الشمالية، للهستدروت بنك خاص ومؤسسات تابعة تقدم لأعضاء الاتحاد خدمات علمية واجتماعية واسعة ويتبع للاتحاد المعهد الأفروآسيوي للدراسات العمالية والتعاون، وهو من المؤسسات العلمية الرزينة في مجال القضايا العمالية والأبحاث الاجتماعية، ويصدر الاتحاد أيضًا جريدة اسمها «دافار» وله دار نشر خاصة به.

يؤخذ بقرارات الاتحاد وتوصياته عند رسم السياسات الحكومية، وللاتحاد رؤية تقوم على إدارة شئون العمال ومصالحهم دون الإضرار بالمصالح العليا للدولة التي يعتبر الاتحاد نفسه مسئولًا عنها، ويضع حماية مصالح الدولة العليا وأمنها القومي هدفًا رئيسًا لوجوده، بهذا يمكننا الجزم أنه لإسرائيل أنظمة عمالية صحية سليمة تديرها وتسهر على مصالحها منظمات محترفة ومستقلة تضمن سلامة جزء مهم من القوة الشاملة للدولة ألا وهي قوة العمل.

القوة الثقافية

هناك جهود تقوم بها إسرائيل عبر سفاراتها بالعالم لتسويق نفسها كدولة كبرى، تحتضن المثقفين والمبدعين وتشجع على الابتكار والتفوق والمبادرات الفردية، ولعل المثال الأكبر لذلك هو الروائي الكولومبي الشهير «غابريل غارسيا ماركيز» الذي اعترف أن الفضل الأول كان للملحق الثقافي الإسرائيلي «دون صامويل ليزمان» الذي احتضن عمله الأول عاصفة الأوراق وقام بطباعة ٤٠٠٠ نسخة منه، وكان سببًا في انتشار أعماله بعد أن عانى من الإهمال، بهذا فإن لإسرائيل عيونًا تستقطب ولاء المبدعين داخل إسرائيل وخارجها دعمًا لأهدافها ووضعها المستهدف كدولة عالمية كبرى تحظى بدعم وتعاطف أهم الرموز والعقول العالمية[١].

وليعلم القارئ أن بإسرائيل أكثر من ٢٠٠ متحف[٢]، وتعد بهذا أكبر دولة بالعالم لديها متاحف نسبة إلى عدد السكان، أهم متاحف إسرائيل هو متحف

(١) أيضًا أسست إسرائيل جائزة القدس في عام ١٩٦٣ وتمنح للمتميزين في حقل معرفتهم بمجالات الأدب والثقافة، واليوم تعتبر تلك الجائزة من أهم الجوائز الأدبية العالمية، ونحن نناقش القوة الثقافية لإسرائيل وأحد أهم جوائزها كان علينا أن نذكر للقارئ أن الهوة العسكرية والاقتصادية والسياسية بين مصر وإسرائيل قد بدأت في الاتساع لصالح إسرائيل مع بداية ستينات القرن الماضي يومها كان قادة إسرائيل: بن جوريون، وموشيه شاريت، وحاييم، ويزمان، ووعزرا، ويزمان، وشيمون بيريز، وجولدا مائير، وإسحاق رابين، وموشئ ديان، وشامير، وغيرهم منهمكين في التأسيس لأنظمة حكم متطورة وقوية علئ أسس علمية وتنظيمية رائعة، كان جمال عبد الناصر يؤسس في مصر أنظمة تكرس لحكم الفرد وبدأ بالتوجيه لإنشاء التنظيم السري الطليعي!!!!

(٢) عدد المتاحف بمصر يزيد قليلًا عن مائة متحف.

إسرائيل الواقع قرب الكنيسيت الإسرائيلي بالقدس ويضم ٥٠٠ ألف قطعة أثرية ومساحته ٥٠ ألف متر مربع ويزوره سنويًّا مليون زائر (لاحظ أن المتحف المصري الكبير والمقرر افتتاحه في عام ٢٠١٨ تبلغ طاقته ١٠٠ ألف قطعة أثرية فقط).

○ الخطة ٢٠٢٠ لدولة إسرائيل والمعدلة ٢٠٢٨

في عام ١٩٩٤ شكلت الحكومة الإسرائيلية التي كان يرأسها «إسحاق رابين» لجنة لوضع أهداف دولة إسرائيل حتى العام ٢٠٢٠، اشترك في هذه اللجنة ٢٥٠ خبيرًا إسرائيليًّا ودوليًّا من دول مثل: أيرلندا، والدانمارك، وبريطانيا، والسويد، واليابان، وهولندا، وألمانيا، والولايات المتحدة؛ للاستفادة من تجارب بلادهم في النو والتقدم، انتهت اللجنة من عملها في عام ١٩٩٧ أي بعد ثلاث سنوات وكانت تلك اللجنة تابعة لمعهد «صمويل نيمان» أحد المراكز البحثية لمعهد التخنيون بحيفا، ورأس اللجنة البروفسيور «آدم مازور» الذي قدم تقريره أو خطته في ١٨ مجلدًا تناول فيه كافة مجالات عمل الدولة مدعمًا بالخرائط والخطط التفصيلية والسيناريوهات المتوقعة؛ ومصادر القوة والضعف والفرص والتهديدات ومصادر التمويل والموارد البشرية المطلوبة، وكان على الدراسة وحسب تعليمات حكومة «إسحاق رابين» أن تجاوب على الأسئلة التالية:-

١- ما شكل الدولة في عام ٢٠٢٠؟ شبكة الطرق - المساحات المزروعة - المناطق السكنية - مناطق التوسع الصناعي والخدمات - وضع الكتل الفلسطينية ووضع الضفة وغزة في ظل عملية السلام المستمرة منذ قيام الدولة.

٢- كيف تصبح إسرائيل دولة صناعية عظمى ضمن أهم ٨ اقتصاديات عالمية؟ اختيار النموذج المطلوب ضمن النماذج المتقدمة: أوروبا، اليابان، أمريكا الشمالية حيث كندا والولايات المتحدة الأمريكية.

٣- ما العلاقة المثلى بين يهود إسرائيل وباقي اليهود بدول العالم، وكيف يمكن توظيف يهود العالم بما يخدم مصالح الدولة ومصالحهم في نفس الوقت؟

وقد جاوب التقرير على تلك الأسئلة كما يلي:-

- رأى المخطط أن الأفضل لتحسين البنية التحتية وتحديثها أن تكون ضمن مناطق محدودة وليست واسعة، كما أنه من منظور بيئي فإن الحفاظ على الأماكن

المفتوحة والغابات ومصادر المياه والرصيد الاستراتيجى من الأراضي لأغراض عسكرية أو لغرض الاستيطان؛ لاستيعاب يهود جدد في العقود القادمة يعد هدفًا قيما يجعل المخطط حذرًا في توظيف الموارد الطبيعية والبشرية وحريصًا على البيئة قدر المستطاع، لهذا أوصى التقرير بضرورة تنفيذ مبدأ منع عودة الفلسطينيين إلى أرضهم، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مبدأ حق العودة للفلسطينيين نقطة خلاف جوهرية ضمن مفاوضات السلام، وذلك لرغبة إسرائيل في ضمان أكبر قدر من مساحات الأراضي غير المستغلة كرصيد استراتيجي للأجيال القادمة، ولهذا قرر المخطط حصة قدرها ٥% من مساحة الدولة للاستخدام العمراني و٢٠% للاستخدام الزراعي و٥% للاستخدامات الصناعية والخدمية، و٣٣% للاستخدامات العسكرية وباقي المساحة فتترك فارغة للأجيال القادمة.

- وضع المخطط هدفًا اقتصاديًّا قدره ٢٢٠ مليار دولار حجمًا اقتصاديًّا للناتج القومي الإسرائيلي؛ حتى تكون ضمن أهم اقتصاديات العالم (تحقق هذا الهدف في عام ٢٠١٠ حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي ٢١٧ مليار دولار)
- رأى المخطط الاستراتيجي الإسرائيلي أن استقطاب اليهود من كافة أنحاء العالم واجب قومي وديني، عدا يهود الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا حيث تقضي مصالح الدولة العليا وجود الجالية اليهودية بتلك الدول واستخدام نفوذها الاقتصادي والسياسي والعلمي؛ في ضمان أمن إسرائيل وتدفق الموارد اللازمة لنهضتها.
- ألمح التقرير إلى أن أهم مصادر التهديد المستقبلي للدولة هما تركيا وإيران، والمنظمات الإرهابية، مثل القاعدة، بينما أشار التقرير إلى مصر على أنها ليست تهديدًا كبيرًا، وربما يكون هذا نتيجة تمسك القيادات السياسية والأمنية والعسكرية المصرية بمعاهدة السلام والتزامهم الكامل ببنودها، أو لما لدى دولة إسرائيل من المعلومات عن الدولة العميقة، التي تحكم مصر، والتي تقوم بإحباط أي تقدم مصري، أو تفوق في عناصر القوة الشاملة، وتقوم بكل عبقرية بتبديد مواردها الطبيعية والبشرية، كما خلا التقرير من الإشارة إلى كل من السعودية والإمارات كمصادر تهديد مستقبلي محتمل للدولة.

○ الخطة ٢٠٢٨ وتعديلات الخطة ٢٠٢٠

في عام ٢٠١٠ تحقق الهدف الأهم للخطة ٢٠٢٠ وبلغ الاقتصاد الإسرائيلي تقريبًا ٢١٧ مليار دولار، وعليه وقبل هذا بسنتين وتحديدًا في مارس ٢٠٠٨ تقدم رجل الأعمال الإسرائيلي «ايلي هوروفيتش» بتعديل للخطة أطلق عليه خطة ٢٠٢٨ ووافقت الحكومة الإسرائيلية ورئيسها «ايهود المرت» على الخطة في إبريل ٢٠٠٨، وكان هذا التعديل بإيعاز من مفوضية العلوم والتكنولوجيا الأمريكية الإسرائيلية، يتضمن التعديل ما يلي:-

- أن تكون إسرائيل ضمن أهم ٢٠ اقتصادًا عالميًّا بحلول العام ٢٠٢٨[(١)]، وقد خفض سقف الطموح الإسرائيلي بزوغ نجم دول أخرى، كماليزيا، وتركيا، وأندونسيا، والبرازيل، والمكسيك. واسعة الموارد البشرية والطبيعية الأمر الذي ارتفع بمستوى المنافسة، بينما تبقى موارد الدولة اليهودية محدودة الموارد البشرية والطبيعية.
- عدلت الخطة الجديدة نسبة مساهمة قوة العمل من عدد السكان من ٤٠% إلى أكثر من ٦٠% لتتوافق مع النسب بالدول المتقدمة.
- أوصت الدراسة بتقوية وتحديث النظام التعليمي الإسرائيلي كله، مع الاهتمام بالصناعات متوسطة ومنخفضة التكنولوجيا التي تأثرت كثيرًا من اندماج الاقتصاد الإسرائيلي في منظومة العولمة، واقتصاديات السوق التي سمحت بدخول منتجات من دول أخرى ذات أسعار منخفضة مقارنة بمثيلاتها الإسرائيلية.

ختامًا، وبعد أن فرغنا من سرد عناصر القوة الشاملة لدولة إسرائيل ورغم العبقرية والكفاءة والموهبة والاحترافية التي يعمل بها قادة إسرائيل منذ إعلان الدولة وحتى اليوم، ورغم النجاحات العظيمة للدولة في كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والعسكرية والسياسية؛ إلا أن الدولة ككل قائمة على الظلم والجشع في استغلال موارد الغير بإفريقيا وغيرها وتأجيج الحروب والنزاعات

(١) لاحظ أن الخطة المصرية ٢٠٣٠ أقصىٰ طموحها أن تكون مصر أم الدنيا ضمن أهم ٣٠ اقتصادًا بالعالم رغم أن موارد مصر أكبر بكثير من إسرائيل.

بغرض أضعاف الغير واستغلال مواردهم، ويضاف إلى ذلك المشكلة الفلسطينية، تلك المشكلة المزروعة في قلب دولة إسرائيل وأساسها ومهيأة أن تنفجر في أي لحظة.

إسرائيل ومنذ إنشائها تميل إلى الاشتراكية الليبرالية، إلا أنه ومنذ عام ١٩٧٧ ومع فوز الليكود بالانتخابات البرلمانية الإسرائيلية تصاعد الصيحات المتشددة التي تميل إلى النزعة القومية وتنادي بيهودية الدولة وإلى التشدد الديني «الحارديم» وتطبيق الشريعة اليهودية وأيضًا تزايد الابتعاد عن الاشتراكية الصهيونية التي أسسها «بن جوريون» إلى الصهيونية الرأسمالية التي تتبنى مفهوم العولمة واقتصاد السوق القائم على المعرفة والمبادرات الفردية، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الحكومة تدعم الأعمال الفنية والأدبية التي تتفق مع هذا التوجه وتلك العقيدة، ويرى كثير من المراقبين أن تلك تمثل سياسة بالغة الخطورة على مستقبل إسرائيل تزيد من حالة الاحتقان الاجتماعي الموجودة أصلًا؛ نتيجة التفرقة الاجتماعية بين اليهود «الاشكيناز» (يهود ألمانيا بصفة خاصة واليهود الغربيين بصفة عامة) وبين اليهود «السفارديم» (اليهود الإسبان بصفة خاصة واليهود الشرقيين بصفة عامة).

في مقابلة لرئيس جهاز الموساد السابق «مائير داغان» في إبريل ٢٠١٢ مع صحيفة «جيروزلم بوست» قال:» نحن على شفا هاوية، ولا أريد أن أبالغ وأقول كارثة وتكهنات سيئة تتعلق بمستقبل الدولة بل ووجودها». هذا كلام أحد أهم رجال الدولة بإسرائيل الذي اختير في عام ٢٠٠٩ رجل العام بإسرائيل تقديرًا لخدماته للأمة، ماذا يعني هذا؟ يعني عظمة الإسلام على الرغم من ضعف دوله وقلة حيلة منتسبيه، إلا أن له أهدافًا واضحة وسامية وعظيمة، تجعل من الدول الإسلامية وحين يأتي موعد نهضتها قوة مادية وروحية هائلة، لا يمكن التغلب عليها أو مواجهتها. والقيم السامية وينابيع الخير الموجودة بالقيم الإسلامية والمكنونة في عقيدة المسلمين تجعل من أسس الدولة أسس متينة وقوية وعادلة، مصر هي قلب العالم الإسلامي وهي حصنه المنيع وعظمتها وعظمة شعبها لا جدال فيه.

الحضارات إذا قامت على القوة العسكرية وقيم ومبادئ تقدس وتُعلِي من الظلم والسلب والنهب، فإن أعمارها بسيطة وإن طالت، ومصيرها إلى الزوال، والحضارات كلما قامت على مبادئ عادلة وقيم سامية وأهداف راقية وأخلاق مثالية طال عمرها حتى ولو خفى نورها وخبا وقلت قوتها ووهنت، ولكن يبقى وقودها الذي لا ينضب هو القيم والأخلاق والمبادئ، عمومًا كلما أدركت القيادة الإسرائيلية أهمية العدل والعدالة في حل القضية الفلسطينية بعد الخطر عن الدولة، وكلما أمعن قادة إسرائيل في تنفيذ سياساتهم العنصرية والدموية تجاه الشعب الفلسطينى تحققت نبوءة «مائير داغان» بشأن وصول الدولة إلى حافة الهاوية، لقد حذر الله ﷻ بني إسرائيل ونبههم وأنذرهم وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾. وتلك رسالة إلهية وتحذير سماوي يحتم على قادة إسرائيل الالتفات إليه، الله مهيمن ومسيطر على ملكه ويتدخل حسب مشيئته وإرادته، وعلى قادة إسرائيل أن يعلموا أن الظلم ظلمات، وأن لكل فعل رد فعل، والأسس السليمة للدول والحضارات يجب أن تكون على قيم نبيلة وأخلاق سامية، القوة الغاشمة أو الظالمة وسياسات تهجير المواطنين واضطهادهم وتجويعهم وحصارهم ونهب ثرواتهم المادية والطبيعية لم تكن أبدا أساسًا لحضارات قوية مستمرة مستقرة حتى وإن طال الزمن، إنما الأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة هي من يضمن للحضارات والدول بقاءها وتقدمها.